الفصل الثالث

(جهود علماء جبل نفوسة ودورهم في إثراء الحياة العلمية)

1. العلوم والفنون (وابرز العلماء).
2. الوظائف العامة للعلماء
3. الإنتاج العلمي.

1. العلوم والفنون وابرز العلماء:

من ثمار الحركة العلمية والثقافية في منطقة جبل نفوسة اهتمام علماء/فقهاء الجبل بدراسة بعض العلوم والفنون والبحث فيها واستخلاص الفوائد منها للصالح العام. وتقسيم العلوم في الحضارة الإسلامية خلال العصور الوسطى إلى نوعين: وهي علوم نقلية، وأخرى علوم عقلية، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون قائلا: «اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين، صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه».[1] وهذا الأمر ينسحب على العلوم التي اعتني بها علماء الجبل، شانهم في ذلك شان علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ولكن التساؤلات المطروحة هي: كيف نشأت العلوم في الجبل، وما هي تطوراتها؟ والى أي مستوى وصل علماء الجبل بتلك العلوم؟ وهل كان لهم إبداع/ زيادة في علوم معينة؟. ومن هم ابرز العلماء والفقهاء الذين ظهروا في جبل نفوسة؟ وهل كان للمرأة دور ونشاط علمي اثري الحركة الفكرية؟

تنشا العلوم وتكثر كما يشير ابن خلدون في الأمصار على نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة، ويذهب إلى ابعد من ذلك قائلا: أن المجتمعات تهتم بالعلوم بعدما تنهى مسالة توفير المعاش.[2] فهل هذا ما حدث في جبل نفوسة؟ من ناحية نشوء العلوم في الأمصار والمدن، اعتقد أن هذا الأمر ينطبق على الجبل لاحتوائه العديد من القرى والمدن وكان الجبل في تلك الفترة من القرون الوسطى تقطنه إعداد كبيرة من البشر: «أن نفوسة...يعدون خيلهم بتسعة وتسعين ألف فارس، وأما الرجال فمما لم يحصر عدده».[3] ويبدو أن ذلك هو عين ما حصل خاصة بعدما انضوت المنطقة تحت الحضارة الإسلامية، ويمكن أن تعد الفترة ق: (2هـ/ق 8م) مرحلة تأسيسية في ترسيخ الحركة العلمية والتعليمية، التي أخذت تنتشر وتتوسع مع مرور الزمن لتنجب الطلاب والعلماء. كما ينبغي الإشارة إلى أن من العلماء من عاش بين قرنين: ولد في أواخر قرن، وعاش فترة من القرن الذي تلاه.

وبحلول ق: (3هـ/9م) الذي شهد قفزة علمية وثقافية كبيرة ليس على مستوى منطقة الجبل فحسب وإنما هو تطور حضاري في اغلب العالم الإسلامي وهي نتيجة حتمية للفترة السابقة خلال التأسيس العلمي في الجبل، فيلاحظ بروز أسماء عدة

1 - ابن خلدون، المقدمة ص 403.

2 - المصدر نفسه، ص 402.

3 - عبد الله الباروني، المرجع السابق، ص18.

لعلماء وعالمات في مختلف قرى ومدن الجبل اشتغلوا بأنواع مختلفة من العلوم والفنون. وهذا يفهم من خلال المصادر التاريخية المتاحة. وبدون شك فان هناك أسماء أخرى لم نتمكن من التعرف عليها بسبب ضياع الأصول التاريخية من مخطوطات ومؤلفات مختلفة لم تصل إلينا نتيجة الأزمات والقلاقل التي مر بها الجبل عبر التاريخ. وكذلك بسبب الفارق الزمني الذي يفصلنا عن تلك تلازمان المبكرة.

إذن شهدت المنطقة العربية والإسلامية عموما تطورا ملحوظا في الحركة العلمية، والثقافية وأسباب ذلك راجعة لعدة عوامل أهمها:

(1) كفالة حرية التفكير لأهل العلم. فالعالم المسلم حر في تفكيره. لا يضيره احد بسبب تأييده أو معارضته لفكرة معينة. وليس كما حصل في أوروبا مثلا -في فترات متأخرة زمنيا عن فترة الدراسة- عندما حوكم (جاليلو جاليله) عام (1610م) بسبب قوله بدوران الأرض. هذه النظرية التي كانت موضع اخذ ورد بين علماء المسلمين في العصور الوسطى. ويتناقشون فيها بكل حرية.

(2) رخاء دول العالم الإسلامي. بحيث إن العلم يحتاج في ازدهاره إلى النشاط الاقتصادي. لتهيئة الجو المناسب للدراسة وطلب العلم.

(3) تقدير الدولة للعلم وأهله. فكثير من الخلفاء والحكام اهتموا بالعلم والعلماء وشجعوهم على ذلك بل إن بعض الحكام المسلمين من كان هو نفسه عالما.[1]

وتبين المصادر التاريخية العلوم التي درسها علماء الجبل واهتموا بها. وهي نفس العلوم التي لاقت عناية العلماء في مختلف البلدان الإسلامية. وهي:

أ. العلوم النقلية:

1 - علم الفقه:

أطلقت كلمة الفقه زمن الرسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام على العلم بشكل عام. وتبعا لذلك فكل من يتدرج في مراتب العلوم ويعيها يسمى فقهيا. ونستدل بهذا ما جاء في الحديث الشريف: «نضر الله عبيدا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها. فرب حامل فقه لا فقه له».[2] وقال أيضا الرسول صلى الله عليه وسلم «ذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين»[3] ويضع المؤرخ ابن خلدون تعريفا

1 - توفيق الطويل. العرب والعلم. القاهرة: دار النهضة العربية. 1968. ص 66-69.

2 - حديث شريف.

3 - حديث شريف.

للفقه فيقول: «هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة. وهي متلقاة من الكتاب والسنة. وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة. فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه».[1] على أن التفاوت في فهم النصوص الشرعية يؤدي إلى التعدد في الآراء الفقهية. واهتم علماء الجبل بعلم الفقه اهتماما كبيرا. كغيرهم من علماء المسلمين شرقا وغربا. إلى درجة أن بعض الدراسات المعاصرة ترى أن الحضارة الإسلامية يمكن أن تطلق عليها حضارة الفقه وهو إحدى منتجاتها المتعددة.[2] وهذا ما لوحظ بالفعل في الإنتاج العلمي بالجبل سواء من حيث الدراسة والبحث أو على صعيد التأليف. فان علم الفقه يحتل الصدارة بين العلوم الأخرى. إلى درجة أن العلماء في مختلف تخصصاتهم لابد وان يكون لأي واحد منهم نصيب وافر في ميدان الفقه.

كما ويعد علماء الجبل من الرواد ببلاد المغرب في الاهتمام بعلم الفقه.[3] حيث رحلوا إلى بلاد المشرق العربي للدراسة على الفقهاء والعلماء المشارقة. ونشروه في بلادهم. وبلاد المغرب عموما بعد عودتهم. ومن الأمثلة على ذلك: رحلة ابن مغطير الجناوني (التي ذكرناها سابقا في الرحلات العلمية).

وكذلك من الفقهاء الأوائل الذين كان لهم الأثر البالغ في ترسيخ علم الفقه خاصة وغيره من العلوم الدينية بمنطقة جبل نفوسة. حملة العلم الخمسة الذين خرجوا في رحلة علمية جماعية إلى مدينة البصرة فدرسوا الفقه وغيره من العلوم الدينية على الشيخ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

ومن فقها الجبل خلال ق(2هـ/8م). الشيخ أبو خليل صال الدركلي الذي ينتسب إلى قرية دركل. والشماخي ينسبه إلى أهل مرجس.[4*][5] ويعد أبو خليل من علماء الجبل الذين جرت عليهم نسبة الدين. وكانت أقواله وفتواه تملأ الكتب الفقهية والدينية. ومن أهم أقواله فيس تحريض الطلبة على طلب العلم أينما كان وحيثما وجد: «كان يقول

1 - ابن خلدون. المقدمة. ص 412.

2 - محمد عابد الجابري. تكوين العقل العربي. ط6. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 1994. ص96.

3 - أود الإشارة إلى أن الفقه الذي انتشر في جبل نفوسة. هو الفقه الإباضي خلال ق: (2هـ/8م). كما انتشر في مناطق أخرى من بلاد الغرب الإسلامي. (تونس. والجزائر اليوم). وقام تجار وعلماء من الجبل بنشره فيما وراء الصحراء الكبري (تشاد. والنيجر. ومالي . اليوم). وما زال إلى يومنا إباضية بجبل نفوسة.

4* - أهل المجرس: ينتسبون إلى قرية مرقس. وهي حاليا إحدى قرى مدينة الحرابة.وتقع فوق تلة تشرف على فروع وادي بقالة. وبحدها من الشرق دخلة زوبة. ومن الغرب شعبة أم رقيبة. ومن الشمال فرع وادي بقالة (السدود). ومن الجنوب شعبة مادي. ومازالت أثارها باقية. زرتها عام 2004.

5 - الشماخي. المصدر السابق. 213.

للتلاميذ سيروا إلى الحلقة واقصدوا حيثما كانت يا كسالى، فان رجلا قد سار من الجبل[1] إلى فزان[2] والى غدامس[3]، والى الساحل رغبة في الحلقة وفيما يستفيده.[4] تلاميذه: ودرس على يدي الشيخ أبي خليل العديد من التلاميذ، منهم على سبيل المثال: أبو أبان بن وسيم الويغوي، وأبو معروف ويدران بن جواد، فكافاه أن خرج مثل هذين العلمين اللذين كانت لهما الدور الكبير في مسيرة الحركة العلمية والثقافية في المنطقة. ومن علماء الجبل الذين اهتموا بالفقه الشيخ أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي: وقد عده الدرجيني في الطبقة الخامسة.[5] يشير الشماخي أن أبان بدأ متأخرا في طلب العلم، ويبدو أن استفزاز الناس له هو ما حثه على التعلم،[6] والجلوس إلى الشيخ أبي خليل صال الدكلي، بقرية دركل، وكان من ابرز تلاميذه لمواظبته على الدرس واجتهاده في طلب العلم حتى قال له شيخه أبو خليل: «لكل زمان نذير وأنت نذير زمانك»[7] كما أجاز له أن يفتي الناس وأوصاه بان يرخص لهم ليكون ذلك عذرا لهم.[8] وهذا يفيد الغاية العلمية التي بلغها ابنا بن وسيم نتيجة للأرضية الثقافية والعلمية السائدة بالجبل. وكان أبان يتصف بالفهم وسرعة البديهة،جاءه رجل من شروس يريد أن يختبره في مسألة فقهية، وقال له: إن

---

1 - الجبل: يقصد جبل نفوسة.

2 - فزان هي: عبارة عن منطقة كبيرة ومأهولة بالسكان وأهلها أغنياء وبلها عدة واحات، تقع جنوبي مدينة طرابلس بنحو 1000 كلم تقريبا، وأرضها خصبة ومياهها الجوفية كثيرة وقريبة، تشتهر بغراسة النخيل،احتلها القرطاجيون سنة 795 ق.م، ثم الرومان سنة 19 ق.م ، كانت عاصمتها جرمة قبل الفتح الإسلامي، فنحها المسلمون بقيادة عقبة بن نافع سنة = =49 هـ، تعد فزان من المراكز التجارية الهامة بين بلاد السودان وساحل البحر المتوسط؛ وكانت فزان في العصور الوسطى ترتبط بعلاقات تجارية وثقافية مع جبل نفوسة، ينظر: الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ص 146-147؛ الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 208.

3 - غدامس: من الواحات الليبية التي تقع على الحافة الغربية للحمادة الحمراء، تبعد عن طرابلس حوالي 500 كلم، تتميز بموقع جغرافي استراتيجي، بحيث شكلت نقطة تواصل واتصال بين مراكز الشمال الإفريقي وحواضر أفريقيا فيما وراء الصحراء، ومنها انطلقت القوافل التجارية ونشرت معها الثقافة العربية الإسلامية صوب المدن الإفريقية، فمدينة غدامس أنجبت العديد من العلماء الذين كان لهم إسهام كبير في النهضة العلمية والحركة الفكرية بإنشاء المساجد والمدارس، وتأليف الكتب، ونشر العلوم، وكانت غدامس ترتبط بعلاقات تجارية وثقافية مع جبل نفوسة، الذي تبعد عنه بسبعة مراحل جنوبا؛ ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 146؛ إصلاح محمد البخاري انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء (تنبكت-غدامس نموذجا) الزاوية: مطابع الوحدة العربية ، 2004، ص 16-19. زرت هذه المدينة وواحتها البهيجة أكثر من مرة عام 2004م.

4 - الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 301.

5 - المصدر نفسه، ص 301.

6 - الشماخي، المصدر السابق، ص 215-216.

7 - الوسياني، المصدر السابق، ورقة 6؛ البغطوري، المصدر السابق، ورقة 96.

8 - الدرجيني، المصدر السابق، ص 301-304؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 216؛ سليمان الباروني ، المرجع السابق، ص 220؛ علي يحيى معمر، المرجع السابق، ص 113-114.

أفتيتها فأنت أبان وإن لم تفتها فأنت أباش فسأله عن حلف لزوجته بالطلاق إذا تزوجت ابنته لرجل يحبه أو لرجل يكرهه، فرد الشيخ أبان ببساطة: يزوجها لرجل لا يعرفه البته.[1] ونتيجة لباعه الطويل في العلم والثقافة قام هو الآخر بمهام التعليم والتدريس، وكانت تساعده في ذلك زوجته: بهلولة التي قال فيها الشماخي: «ممن وافقه وطابقه علما وعملا وحسن عشرة»[2] وتخرج من مدرسته طلاب عديدون، منهم أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري، وأبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي، وأبو معروف ويدران بن جواد، وزورغ الارجانية، وتكسليت أم يحيى.[3] هذا بخلاف الطلبة الذين لم تذكرة المصادر، وهذا ما المح إليه أنقا من أن العلماء يأخذ بعضهم عن بعض، ومن ثم ينشرون بدورهم العلم والثقافة في ربوع المنطقة، وخاصة في المناطق التي يندر بها التواجد العلمي، وهذا يدل دلالة واضحة على الترابط الديني والثقافي في جبل نفوسة عبر الأجيال.

ومن شيوخ الفقه بالجبل الشيخ سدرات بن إبراهيم المساكني النفوسي: ق: (هـ/ م) يرجع أصله إلى قرية امساكن، لم تشير المصادر إلى مكان دراسته ولا عن شيوخه الذين تعلم عليهم، إلا أن الشماخي قال عنه: «كان شيخا عالما».[4] ويبدو انه كان يترأس حلقة علم تتم فيها إثارة المشكلات والتساؤلات العلمية والفقهية وتحضر النساء هذه المجالس ومن بينهن أخت عمروس.

ومن فقهاء الجبل البارزين الذين تركوا بصمات واضحة وجلية في هذا المجال، الشيخ أبو حفص عمروس بن فتح المساكني، وهو من قرية اموساكن[5] وتذكر المصادر التاريخية بأنه: ولد في طريق الحج، وهناك العديد من صبيان الجبل ولدوا في طريق الحج، ويذكر انه ولد في ركب واحد ثلاثمائة صبي ذكر ناهيك عن الإناث إلا أن المصادر لم تذكر تاريخ ميلاده.

شيوخه: وتلقي العلم على مشايخ الجبل، كما تشير المصادر التاريخية إلى أن

---

1 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة؟ .

2 - الشماخي، المصدر السابق، ص 218.

3 - محمد بابا عمي، المرجع السابق، ص 7.

4 - المصدر نفسه، ص 230.

5 - أمساكن: (قطرس حاليا) ، قرية من قرى الجبل القديمة، تقع وسط غابات من الزيتون يحدها من الشرق مدينة أبديلان، ومن الغرب وادي تالة، ومن الشمال غابة زيتون، وكذلك من الجنوب حتى منطقة الظاهر، سكن أهلها قديما الغيران في مراحلها الأولى، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ عمروس بن فتح المساكني، زرتها عام 2005م.

عمروس بن فتح مكث بالمغرب عشرين عاما يطلب العلم،[1] إلا أن الشماخي لا يحدد المكان بالضبط ويورده (المغرب) !، كما تولي القضاء في ولاية أبي المنصور إلياس (كان حيا في الأعوام: 261-281هـ/874-894م) في أواخر الدولة الرستمية. واهتمت كتب الطبقات والسير بشخصية عمروس بن فتح وتحدثت عنها مطولا لما تتمتع به من شهرة علمية ودور ثقافي هام في المنطقة. ويتضح أن علماء الجبل كانت لهم حظوة ومكانة علمية في نفوس العلماء المشارقة. نفهم ذلك من خلال اللقاء العلمي الوثيق بين الشيخ ابن فتح والعلامة أبي عبد الله محمد بن محبوب رحمه الله وذلك بمكة المكرمة في إحدى مواسم الحج، وكان اللقاء في مجلس من مجالس العلم التي يقيمها ابن محبوب، وتقدم عمروس طارحا سؤاله، فأعجب الشيخ ابن محبوب الذي أدناه منه وقربه إليه وسمح له بالتدريس في مكانه، فسرد مجموعة مسائل فقهية كانت على درجة عالية من النضوج العلمي، حتى قل له ابن محبوب: «هذا مكنون العلم لا يسأل في قوم جهال».[2]

جهوده الفقهية: اهتم الشيخ عمروس بالنشاط الفقهي، دراسة وتأليفا، فقد أشارت المصادر لعزم ابن فتح إلى تأليف كتاب في الفقه، فوضع له تصميما، وجعل له منهجا لم يسبقه إليه احد، على أساس أن يبين فيه الأحكام الدينية وفق مصادرها التشريعية الثلاث: (الكتاب، السنة، الرأي) إلا أن الموت كان اسبق من عزم ابن فتح المساكني،[3] فلم يتم انجاز ذلك المشروع العلمي غير أن النتيجة التي نخلص لها هي قدرة عمروس على العطاء والإبداع الفكري الذي تتأسس عليه النظريات والأفكار، ومن جهوده الفقهية التي بقيت أثارها إلى يومنا هذا نسخه لكتاب فقهي يعرف باسم: (مدونة أبو غانم الخراساني)[4] وكان حينها ما زال شابا حدثا، عندما استودعه أبو غانم بشر الخراساني رحمه الله نسخه من مدونته لما اجتاز الجبل في طريقه إلى مدينة تيهرت، وكانت أخته تساعده في الإملاء حتى تم نسخها جميعا، وهي تقه في اثني عشر جزءا.[5] ويرجع إلى عمروس الفضل لنسخه مدونة الخراساني لأنها بقيت النسخة الوحيدة بعد إحراق النسخة الأخرى في مكتبة تيهرت أثناء السيطرة الشيعية، وإسقاط الدولة الرستمية

1 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 130؛ الشماخي: المصدر السابق، ص 229.

2 - الوسياني، المصدر السابق، ورقة 3-4.

3 - الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 35.

4 - مدونة أبي غانم الخراساني: كتاب في الفقه، دونه بشر بن غانم الخراساني عن تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وفيه أقوالهم ورواياتهم واختلافاتهم في بعض المسائل. ينظر البرادي، رسالة في كتاب الإباضية، ص 57.

5 الوسياني، المصدر السابق، ورقة 2؛ الدرجيني المصدر السابق، ص 323، الشماخي، المصدر السابق، ص 228.

سنة: (296هـ/909م). وفاته: توفي العلامة عمروس بن فتح سنة (283هـ/896م)، بعدما اخذ أسيرا في معركة مانو.

لم يكن أمر العلم والتفقه في الدين مقتصرا على رجال جبل نفوسة فقط دون نسائها، وهذه حسنة أخرى تسجل للرجال امنحهم المرأة حقها في طلب العلم، وبهذه البيئة العلمية المزدهرة برزن مجموعة من النسوة أسهمن بدور هام ومثمر في الحياة العلمية والفكرية بالجبل، فهذه أخت عمروس بن فتح المساكني: (كانت حية عام: 283هـ/896م) وللأسف لم تذكر لنا المصادر التاريخية اسمها، ولا سنة ميلادها، والمعلومات التي جاءت بشأنها بسيطة جدا، ويبدو أنها استفادت كثيرا من أخيها العلم الشيخ عمروس، فكثيرا ما ساعدته في نسخ الكتب ولا شك أن تتناقش معه في المسائل العلمية والنوازل الفقهية، أشار إليها أبو زكريا بن يحيى الوارجلاني في كتابه قائلا: «كانت عالمة فقهية».[1] ومن هذا النص يتضح لنا إنها كانت تشتغل بالفقه وتهتم به إلى درجة إنها صارت عالمة فيه.

شيوخها: درست على يد أخيها الشيخ عمروس بن فتح ، كما درست على الشيخ أبي حمزة سدرات بن إبراهيم، وكانت تشارك الرجال في مجالسهم العلمية والفقهية، وليس هذا فحسب بل تناقشهم وتجادلهم، كما أشارت إلى ذلك بعض المصادر التاريخية حيث ذكرت: أن احد العلماء وهو أبو حمزة سدرات بن إبراهيم كان في مجلس علم وأثار الحاضرون مسألة فرد الشيخ سدرات بالإيجاب على تلك المسألة، فقال احد الحضور لقد نعس الشيخ، فردت عليه أخت عمروس: إن نعس فل ينعس كلامه.[2] والذي يستنتج من هذا النص هو مشاركة وتواجد امرأة إلى جانب الرجال في مجالس العلم ولها رأيها الذي تدافع عنه.

ومن فقهاء الجبل، الشيخ أبو ذر صدوق الفرسطائي ق: (2هـ/8م)، ينتسب إلى قرية فرسطا، وتتلمذ على يد أبي مرداس مهاصر، وكانت له جهود طيبة في نشر العلم بالجبل، كما يعد ضمن سلسلة نسب الدين، وقام بمهام التدريس كأغلب علماء الجبل، ومن تلاميذه: العالم أبو يونس أبدين الفرسطائي.

ومن فقهاء الجبل المشهورين، وخاصة بعد معركة مانو (283هـ/896م)، التي قتل فيها عددا كبيرا من أهالي الجبل، ومن العلماء والفقهاء قدروا بحوالي: أربعمائة عالم، مما اثر على مسار الحركة الفكرية والعلمية، ولولا وجود هذين العلمين لسارت الأمور في

1 - الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 38.

2 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 130-131.

اتجاه آخر كما يشير لذلك احد المؤرخين قائلا: :ولم يبق من علمايهم وفقهايهم إلا أبو القاسم البغطوري وعبد الله بن الخير. وهما اللذان بفتيان لأهل الجبل نوازلهم من تلك الوقعة. ولولاهما لعطلت إلى يوم القيامة».[1]

ولد الشيخ أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري عام (163هـ/776م) وينسب إلى بغطورة[2] وليس كما جاء في معجم أعلام الإباضية انه: من أهل ميري ومولده عام (163هـ/776م).[3] لإشارة بعض المصادر أن عمره بعد معركة مانو في عام (283هـ(120 سنة.[4] فعملية طرح 120 من 283 = 163 وهي سنة ولادته تقريبا. ونسبته لقرية بغطورة تتضح من خلال اللقب.

شيوخه: وتعلم عند الشيخ أبان بن وسيم الويغوي، وتخرج من مدرسته بويغو حيث كان يقطع كل ليلة المسافة ما بين بغطورة وويغو من اجل طلب العلم والتعلم.[5] وهو يعد من العلماء الذين بقوا بعد معركة مانو، إذ لم يشارك فيها أصلا لكبر سنه فقد بلغ عمره وقتذاك مائة وعشرون سنة، ووقع عليه عبء كبير ومسؤولية علمية وفقهية فقيل: :قعد يفتي بعد وقعة مانو ثلاثة أيام بلياليها، وقيل يوم وليلة وهو يقول الكبر عيب وهو يومئذ له من العمر مائة وعشرون سنة».[6]

تلاميذه: استمر الشيخ أبو القاسم في التدريس، والنهوض بالمسيرة التعليمية من جديد، فتخرج على يديه عدد من العلماء أعادوا النشاط الثقافي والعلمي لسابق عهده، منهم على سبيل المثال: أبو هارون موسى بن يونس الجلالي.

والعالم الفقيه الآخر الذي بقي بعد معركة مانو وواصل مسيرة العطاء الفقهي،

---

1 - الوارجلاني المصدر السابق، ورقة 38.

2 - بغطورة: قرية الجبل، يذكرها الشماخي أحيانا بقطورة (القاف)، ومن بقايا الآثار (غير أن وبقايا المباني المتساقطة)، تبدو أنها كانت كبيرة إلى حد ما وتقع بغطورة على مجموعة هضاب تفصل ما بينها الشعاب، ويحدها من الشرق قرية تمنكرت، ومن الغرب والشمال تحيط بها غابات الزيتون، ومن الجنوب وادي بغطورة الذي يتجه جنوبا ثم يلتف شمالا ويلتقي مع وادي أبو الرصف، ومن المعالم التاريخية: قصر القرية الذي يقع فوق ربوة عالية ويشرف على القرية من الجهة الغربية، كما يوجد بها مسجد الشيخ أبو القاسم البغطوري المعروف حاليا (أبو قفة)، يقع في وسط القرية ما زالت أساسات المسجد قائمة، ويبدو انه كان كبيرا حيث قدر طوله 14 مترا وعرضه 17 مترا، وهناك بيت أول أثار المحراب غير واضحة تماما، زرتها عام 2004، ينظر الصورة رقم (30).

3 - معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 169.

4 - الشماخي، المصدر السابق، 235.

5 - الشماخي، المصدر السابق، ص 235.

6 - نفس المصدر والصفحة.

هو أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي: ينتسب إلى قرية ونزيرف،[1] لم تشر المصادر إلى سنة ولادته.

شيوخه: درس في مدرسة أبي ذر أبان بن وسيم الويغوي، الذي كان من ابرز شيوخه، وبرع في تلك المدرسة، حتى صار من علماء الجبل الكبار، وكانت تضرب به الأمثال فقيل فيه: «من ضيع كتابا كمن ضيع خمسة عشر عالما مثل عبد الله بن الخير».[2] ونفهم من هذا النص والمثل أن ابن الخير بلغ درجة عالية من النضوج العلمي والثقافي حتى يشبه بالموسوعة العلمية المتحركة.

ويشير احد الباحثين المعاصرين إلى أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن الخير والشيخ أبا القاسم البغطوري قد سبقا الشيخ أبا عبد الله محمد ابن بكر الفرسطائي في وضع الجانب الاجتماعي والديني في نظام العزابة.[3] وعلى الرغم من المكانة العلمية والاجتماعية التي بلغها الشيخ عبد الله إلا انه كان دائم الاستعداد من اجل زيادة معارفه فهو: «علق زاده لنية السير إلى تعلم العلم وهو الحاكم والقاضي بين الناس».[4]

تلاميذه: كان للشيخ أبي محمد حلقة علمية ومجلس للذكر، وتخرج على يديه العديد من طلاب العلم نذكر منهم على سبيل المثال: غزالة الأمة السودانية، يوجد بقرية، ونزيرف مسجد ما زال يحمل اسمه،[5] مات وعمره مائة وعشرون عاما.

كما كان للمرأة في جبل نفوسة إسهام علمي واضح لا سيما في الفقه إلى درجة أن أطلق على هذا العلم، (علم العجائز)، وقد عبر الشماخي عن ذلك المعنى بقوله: «وللعجائز بالجبل وغيره شان عظيم».[6] ومن بين تلك النسوة العالمات: بهلولة النفوسية ق:(3هـ/9م)، التي كانت توصف بالصلاح والتفقه في الدين، درست العلوم على يد الشيخ أبان بن وسيم الويغوي، وكانت حلقات العلم تعقد فيس بيتها ثم لبث

---

1 - ونزيرف: إحدى قرى الجبل، تقع بين وادين وادي اوجنت من جهة الشرق ، ووادي أبو غنداس من الغرب، ومن الشمال نهاية وادي قويام الذي ينحدر من وادي امسين ومن الجنوب منطقة الظاهر، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ أبو الشيخ أبو محمد عبد الله الونزيرفي، ومسجد الشيخ أبو زكريا يحيى السدراتي، ومدرسة تعليمية قديمة لن نعثر عن معلومات تفيد: من بناها أو من درس بها من المشائخ، وبالإضافة إلى قصر القرية الذي يقع على ربوة مرتفعة يفصله خندق للحماية، زرتها عام 2005، ينظر الصورة رقم (31).

2 - الدرجيني المصدر السابق، ص 316.

3 - سالم بن يعقوب، المرجع السابق، ص 94.

4 - الشماخي، المصدر السابق، ص 237.

5 - مسجد الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي: ما زال المسجد بحالة جيدة لاهتمام الأهالي به، طوله 10 أمتار وعرضه 9 أمتار تقريبا، زرته عام 2004، ينظر الصورة رقم (32).

6 - الشماخي، المصدر السابق، ص 260.

أن تزوجها الشيخ أبان تقديرا لجهودها في نشر العلم. ولم تذكر جهدا بعد الزواج بل تعاونت معه في التدريس والاهتمام بالنساء الطالبات للعلم. ونشير إلى عالمة أخرى وهي: أم الخطاب الاغرميمانية ق: (3هـ/9م). من قرية اغرميمان. كانت مسيحية الذين. ثم أسلمت بعد زواجها من الشيخ أبو يحيى الازدالي. وتوجهت بنشاط إلى طلب العلم والمعرفة. فحفظت القرآن الكريم ثم درست علوم الشريعة حتى أصبحت مرجعا للنساء في الاستشارة والفتوى. ومن نساء الجبل المجتهدات: زورغ الارجانية: ق:(هـ/ م) وتنتسب إلى قرية أرجان. وهي امرأة عابدة صالحة عالمة. وبلغت درجة عالية من العلم والصلاح والورع حتى قالوا فيها إن: «معها ثلث علم الجبل».[1]

شيوخها: تتلمذت على الشيخ أبان بن وسيم وتخرجت في مدرسته. وينسب إليها مصلى يعرف باسم «مصلى زورغ».[2] كما درست على يد الشيخ مصلوكن المرساوني. وفاتها: لا يعرف على وجد التحديد متى توفيت. لكن يقدر إنها عاشت في الفترة ما بين الأعوام : (200-250هـ/815-465م).

وكذلك من عالمات الجبل الشهيرات في الفقه أم يحيى تكسليت: ق: (هـ/ م) وذكرها أصحاب معجم أعلام الإباضية مرتين وفي كل مرة نسبوها إلى قرية من قرى الجبل الأولى نسبت فيها إلى جليمة،[3] والثانية إلى قرية «تيمصليت».[4] لم تذكر المصادر تاريخ مولدها. ولا تاريخ وفاتها. غير إنها كانت حية عام (283هـ/896م). شيوخها: تتلمذت على يد شيوخ منهم: أبو غلبون من أهل كزين وجندول من تمنكرت[5]، وأخيرا عند أبان بن وسيم بويغو. وتزوجت من احد علماء الجبل وهو أبو ميمون الجيطالي وسلكت طريقته نفسها بعد وفاته في استقبال العلماء في بيته. وفتح مجالس العلم والذكر للنقاش والمذاكرة كما تشير بعض المصادر: «كانوا يجتمعون عندها عزابة أمسين في ليلة

1- البغطوري، المصدر السابق، ورقة 137.

2 - مصلى زورغ: هو عبارة عن بناء من الحجارة مستطيل الشكل، بابه يفتح ناحية الجنوب. ويعد الآن البناء الوحيد في ارجان (الرحيبات) لوجود أكثر من قرية اسمها ارجان، وطريقة بناء الواجهة فيها فن وروعة معمار، البناء ما زال بحالة جيدة، وكان قائما في ق 10هـ/16م. زرته في 2004

3 -معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 105. وهذا ما قاله المؤرخ البغطوري، ورقة 32.

4 -المرجع نفسه، ص 465.

5 - تمنكرت: هي إحدى مدن الحبل وتعرف حاليا (بقيقيلة)، وقد هجرها سكانها وتقع في الضفة الشمالية لوادي تمنكرت، يحدها شمالا جبل تمنكرت، ومن الجنوب مجري وادي تمنكرت، ومن الشرق والغرب نفس المجرى لوادي تمنكرت، ويوجد بالوادي أكثر من مائة سانية تكثر به أشجار النخيل بأنواع مختلفة منها: الكركابي الشهباني، والمغرسي، كما كان الأهالي يقومون بزراعة الخضروات على ضفاف الوادي ويستخدمون الأبقار في عملية السقي، وما زالت أثار المدينة قائمة، زرتها عام 2004.

الجمعة يتذاكرون ويحيون ليلتهم في العبادة».[1] وكانت تتصف بالذكاء وسرعة الحفظ وروي أن كتاب الخليل الصالح أول ما وصل جبل نفوسة عند رجل من أمسين فطلبوه منه للنسخ فرفض. فتحيلت عليه أم يحيى وأقنعته بان يعرضه عليها مرة واحدة ومن قراءتها الأولى للكتاب قالت للأهالي: من أراد أن ينسخ فليكتب.[2] كما يرجع إليها الفضل في تأسيس أول مدرسة خاصة بالنساء في منطقة أمسين (وتعرف بمدرسة أمسين) وألحقت بها محل إقامة للفتيات القادمات من أماكن نائية.

تلاميذها: ومن أبرزهم: شكرت الزغوارية، وأم زعرور.

كما نذكر في هذا الصدد أم زعرور الجيطالية: ق: (هـ/ م) إحدى نساء الجبل العالمات وهي من قرية ايجيطال،[3] بلغت درجة عالية في العلم والورع والتقي، ومن أقوالها المأثورة: «من فاتته ثلاثة فقد فاته خير الدنيا والآخرة، من فاته الحرث، وحضور مجالس العلم، وجماعة الأخيار».[4] فنلاحظ تركيزها على الجانب العلمي، ووعيها بأهمية الاقتصاد وضرورته في الحياة البشرية. كما وصفت بالذكاء والفهم فقد حاول الشيخ أبو محمد التغرميني أن يمتحنها -قبل أن تصير زوجته- ووجدها تملأ من البئر. فقال لها: «يا جارية هل لله زرع بل مزرعة. فقالت: نعم. فقال لها: من يحرث تلك المزرعة. فقالت: نعم. فقال لها: هل له من يحصد. قالت: نعم. فقال لها: هل له مخازن. فقالت نعم بيوت الشعير وبيوت القمح. فقال لها: ما معنى هذا كله. فقالت له: أما المزرعة فهي الدنيا. وأما أما الحارثون فالناس الذين في الدنيا. والحصاد ملك الموت. وأما الأندر فالقبور. وأما المخازن فالجنة والنار. فالقمح هو الجنة والشعير هو النار».[5]

ومن علماء الجبل في الفقه الشيخ ابن معبد الجناوني: ق: (هـ/ م). وينتسب إلى قرية ايجناون. أمضى سنوات طويلة من عمره في طلب العلم خارج قريته حتى بلغ غايته في التعلم. شيوخه: درس عند الشيخ سعد بن أبي يونس بقنطرارة. وتشير المصادر انه مكث أربعين عاما في التعلم ! وهنا يثور سؤال: لماذا تطول تخصص في علم

1 - الشماخي ، المصدر السابق، ص 233-235.

2 - البغطوري المصدر السابق، ورقة 36.

3 - ايجيطال: من قرى مدينة الرحيبات، تقع في سفح الجبل، في وسط غابات من الزيتون، تحدها من الشرق قرية الخربة، ومن الغرب نهاية الجبل، ومن الشمال وادي بازينة، ومن الجنوب وادي قويام، ومن معالمها التاريخية: مسجد أبي ميمون الجيطالي، ومسجد إسماعيل الجيطالي، وقصر جيطال، يرى المستشرق تاديوش ليفيتسكي أن تسمية ايجيطال مشتقة من الاسم الذي كان يطلق على الشعب الليبي [جاتولي Gaetuli] زرتها عام 2004.

4 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 177.

5 - المصدر نفسه، ورقة 171.

المواريث حيث يقول حين رجوعه إلى قريته بعد إكمال تعليمه: «لو ماتوا جميعا وفصلوا أعضاء لأورثتهم بعضهم من بعض من كثرة علمه».[1]

كما برز خلال هذا القرن عالم وفقيه له مكانته العلمية والاجتماعية وهو الشيخ أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني: ق: (3هـ/9م) وينتسب نسبة إلى قرية اجناون. أسهم في الحركة العلمية والثقافية بشكل كبير. وكان واليا على الجبل من قبل الإمام عبد الوهاب الرستمي. وكان موصوفا بالأخلاق الحسنة زاهدا ورعا».[2] وينسب إليه مسجد في قريته وكان محل دراسة وعلم حتى قيل اجتمع به سبعون عالما.[3] مما يدل على النبوغ العلمي والازدهار الثقافي بالمنطقة. كما يتضح من خلال النصوص التاريخية عمق علاقات جبل نفوسة ومنطقة أفريقيا فيما وراء الصحراء في فترة أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني الذي كان يتقن عدة لغات من بينها اللغة الكانمية.[4] فتلك الدرجة التي يتقن فيها علماء منطقة لغة مناطق أخرى تعني مدى الجذور التاريخية للعلاقات. وتشعب فروع التعاون والتواصل في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية. وفاته: توفي الشيخ أبو عبيدة الجناوني بعد 211هـ/8265م.

وظهر العالم الفقيه ويدران بن جواد أبو معروف: ق: (3هـ/9م) في مدينة شروس. وقد أسهم في ازدهار العلم ونشره في ربوع الجبل. درس الشيخ ويدران عن أبي ذر أبان بن وسيم. كما اخذ عن الشيخ أبو خليل صال الدركلي. ويعد ضمن سلسلة نسب الدين بالجبل. ونتيجة لاطلاعاته الواسعة للكتب الأمر الذي جعله ذا ثقافة عالية وإلمام بالعلوم وخاصة على الفرائض. مما أهله للقضاء بين الناس وبخاصة في مسائل الميراث والديات. كما يبدو انه اشتغل بالتدريس ومن تلاميذه البارزين: أبو مسور يسجا اليهراسني الذي بدوره نقل المؤثرات العلمية والثقافية من الجبل إلى جزيرة جربة.[5] وهذا يضاف إلى أهمية الجبل العلمية وتأثيراته في مناطق الجوار. ويبدو أن ورع وتقوى هذا الشيخ قد أثرت عليه في أعماله الدنيوية. فقد روى عنه البغطوري: انه كان تاجرا ولكي يحتاط في التعامل التجاري فكان إذا باع بضاعة يزيد للشاري في الميزان. وإذا اشترى لنفسه كان بنقصها. وقال البغطوري أيضا: «لما حضرته الوفاة أوصى بأربعين دينارا لاحتياط الميزان».[6]

---

1 -الشماخي. المصدر السابق. ص 242.

2 - الدرجيني. المصدر السابق. ج1. ص 70-71.

3 - الشماخي. المصدر السابق ص 545. .

4 - الباروني. المصدر السابق. ص 170.

5 - فرحات الجعبيري. ملامح عن الحركة العلمية عند الإباضية بجربة. المرجع السابق. ص 26؛ فرحات الجعبيري نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة . تونس: المطبعة العصرية. 1975. ص 155-157.

6 - البغطوري. المصدر السابق. ورقة 81.

وكما نوهنا سابقا لإسهامات المرأة في طلب العلوم وخروجها ومشاركتها للرجال في مختلف حلقات العلم ومجالس الذكر. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تفوقت بعض النساء في جوانب علمية على الرجل. ووصلت إلى درجة الاجتهاد والإبداع. ومن بين تلك النساء غزالة السودانية: من عالمات الجبل في أواخر ق: (3هـ/9م). ويرجع أصلها إلى بلاد السودان.[1] ولم تحدد المصادر بدقة المكان الجغرافي الذي جلبت منه. وإنما المعروف عنها إنها جلبت إلى الجبل ضمن تجارة الرقيق التي كان معروفة وقتذاك وفي نفس الرحلة التي قدمت فيها لوحظ عند سماعها تلاوة القرآن الكريم كانت تجلس ولا تتحرك حتى تنتهي التلاوة.[2] وهذا مما يعني إنها كانت تفهم اللغة العربية لغة القرآن الكريم وتتدبر معانيها. وذلك ناتج لعمق التواصل بين الشمال الإفريقي وإفريقيا فيما وراء الصحراء. وكانت غزالة تقيم في مدينة ويغو عندما اشتراها احد الأهالي.

شيوخها: درست على الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي. وكانت تسير إليه كل يوم وذلك من قريتها ويغو إلى قرية ونزيرف للدراسة وطلب العلم. وهذا مؤثر على أن الحياة العلمية بلغت من الشيوع و الازدهار في تلك القرون حتى يسمح للخدم والإماء بحرية طلب العلم والتعلم في ذلك الزمن المبكر. الأمر الذي لم يفكر فيه أوربا حتى بتعليم أحرارها حينذاك وهذا عين ما أشار إليه الوسياني : «أن العلم فشا في الجبل وشاع حتى إن خدمهم وإماءهم إذا خرجن إلى الاستسقاء لا يرجعن حتى يذاكرن بينهم مسايل كتاب ماطوس وفيه ثلاث مائة مسألة ومواعظ. وكتاب الإخوان».[3] ويوجد بالجبل بقرية ويغو غار يحمل اسم العالمة غزالة.[4]

ويعد الشيخ أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي: من العلماء الذين اشتغلوا بالفقه. ويرجع أصله إلى مدينة لالوت (نالوت حاليا). عاش في أواخر القرن الثالث هـ/ التاسع م.

شيوخه: اخذ العلم من الشيخ أبي هارون موسى بن يونس الجلالمي. وبعد تخرجه قام بتأسيس مدرسة قصدها العديد من طلاب العلم في الجبل. وكان يتبع فيها طريقة في التعلم تختلف عن المدارس الأخرى حيث يخرج بطلابه خارج حجرات الدراسة.

---

1 - يقصد ببلاد السودان: أما الغربي أو الأوسط. لأنهما المنطقتان اللتان تعامل معهما جبل نفوسة تجاريا وثقافيا.

2 - الجيطالي. المصدر السابق. ص 22.

3 - الوسياني. المصدر السابق. ورقة. 13.

4 - غار العالمة غزالة: يقع الغار وسط قرية ويغو بجانب مجموعة غيران كانت تتخذ للسكن في ذلك الوقت. وهو غار متسع طوله حوالي 15 متر عرضه 10 أمتار. توجد به من الداخل ركابة ومحراب للصلاة وخزائن على جدار الغار. وعدد. وعدد من الكوات كانت تستعمل للإضاءة. وزرته عام 2004.

تلاميذه: ومن الطلاب الذين تعلموا على يديه: الشيخ أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي.[1] وفاته: لم تذكر المصادر سنة وفاته، وإنما توفي في إحدى الرحلات العلمية بصحبة تلاميذه، وعمره سبع وعشرون عاما.

ومازال الجبل ينجب الفقهاء على مر الزمن تعاقب القرون وها هو القرن (الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) والمساجد تعج بالتلاميذ والمدارس تدفع بالخريجين إلى ساحات العلم وميادينه، ويتميز هذا القرن أيضا بالنشاط الفكري والثقافي ببروز علماء وعالمات من مختلف القرى والمدن في مجالات شتى من العلوم والفنون المعروفة حينذاك.

ومن أعلام ذلك القرن (4 هـ/10م) نذكر أم سحنون اللالوتية، إحدى نساء مدينة لالوت، وتعد من العالمات الناصحات، وفي الجبل لاحظت عادة حسنة كثيرا ما يتبعها العلماء والفقهاء، إلا وهي زيارة العجائز من النساء لاستشارتهن في مسائل هامة تتعلق بالدين والدنيا، وأم سحنون من النساء اللاتي كثيرا ما يزورها المشائخ للاستفادة من علمها ونصحها، والشماخي يقول عنها في سيرة: «أفضل عجوز بالجبل».[2] وتركت أقوالا مأثورة في الحكمة والأدب في العديد من بطون الكتب. ومن نساء الجبل كذلك أم الربيع الوريورية ق: (4 هـ/10م)، كانت إمرأة فاضلة، اشتهرت بالعلم والكرم، وكانت من الطبقات الغنية بالجبل فأنفقت جل ثروتها على العلم وطلابه، وكثيرا ما كان العلماء يستريحون في الإقامة عندها للمشاورة ومناقشة مختلف القضايا الدينية والعلمية التي تهم الناس وحياتهم. كما نذكر تبركانت السدراتية ق: (4هـ/10م)، وهي زوجة الشيخ أبا هارون موسى الباروني، وكانت تكنى: بـ (جدة الشيوخ) لان اغلب أولادها وأحفادها علماء وشيوخا، وذاعت شهرتها في مجال العلم والفقه، وتركت العديد من الأقوال والحكم والوصايا في بطون الكتب والمؤلفات، ومن أقوالها في الوصايا: «شر الصدور صدر لا رأفة فيه، وشر الإقدام قدم لا تزور في الله، وشر البيوت بيت لا يدخله المسلمون، وشر المال مال لا ينفق منه».[3] ونلاحظ كثرة نبوغ النساء بالجبل، وكانت لهن مكانة بين العلماء إلى درجة أن يقول المؤرخ البغطوري: «أن الماضيين خافوا على أحكامهم من مشائخهم، ومشائخهم خافوا من عزابتهم، وعزابتهم خافوا من عجائزهم».[4] والمرأة بلغت تلك المكانة بسبب المناخ الفكري المزدهر، الذي شجع عليه الدين الإسلامي، وبذلك حفظت لنا كتب التاريخ نماذج من أقوال مأثورة، وحكم لبعض النساء، مما يدل على رقي المرأة علميا وثقافيا،

1 - الشماخي، المصدر السابق، ص 299.

2 - الشماخي، المصدر السابق، ص؟.

3 - أبو العباس الفرسطائي، المصدر السابق، ورقة 100.

4 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 190.

ومنها: « أن عجوزا من نفوسة مرضت فجاءتها أخوات في الله يزرنها، فقالت إحداهن: ليس المحب للحبيب الذي يشق عليه فعل حبيبه، وقال الأخرى: ليس بالحبيب الذي لا يصبر على فعل حبيبه، فقالت لهن المريضة: ليس الحبيب الذي لا يفرح لفعل حبيبه».[1]

ومن أعلام الجبل: الشيخ أبو الربيع سليمان بن ماطوس الشروسي: ويرجع نسبه إلى مدينة شروس، لم تذكر المصادر سنة ولادته، ولا المشايخ والعلماء الذين درسي عندهم، وهو يعد من العلماء الناجين من معركة مانو (283هـ/896م) وكان له دور كبير في إنعاش الحياة العلمية بالجبل خاصة بعد الركود الذي أصابها نوعا ما من جراء معركة مانو، قام بافتتاح مدرسة أثرت في الحركة الفكرية والثقافية، ونشرت العلوم في جميع الربوع،[2] وكان بعض الطلاب يترددون عليه في مدرسته ويتعلمون عنده، ثم يسافرون إلى بلاد افريقية بموضع يقال له (سلام عليك)[3] ويقيمون هناك فترة للدراسة ثم يرجعون إلى مدرسة ابن ماطوس ليعرضوا عليه ما درسوه في رحلتهم العلمية، ثم يقوم معهم بالمراجعة والتصحيح لمختلف المسائل والمشكلات، وتطول بهم تلك المراجعات فترات تصل أحيانا إلى ستة أشهر، وأخيرا يرجع الطلاب إلى أهاليهم.[4] وهذا يبين مدى أهمية مدارس الجبل بالنسبة للمدارس الأخرى في المناطق الأخرى في المناطق المجاورة.

كما أن العلاقة ابن ماطوس ذاع صيته في الأقطار، وانتشرت فتاويه خارج منطقة جبل نفوسة: «وشاع علمه في البلاد بل البلدان وبورك في فتياه حتى قيل إن فتيا ابن ماطوس بلغت جربة،[5] وفي أمسنان، وفي وارجلان، حتى لحقت فتياه أرضا يقال لها سلام عليك في المغرب».[6] ويشير الشماخي إلى نفس المعنى السابق قائلا: «ذكر أبو زكرياء يحيى الجناوني عن أبي محمد وارسفلاس عن أبيه عن أبي يحيى الفرسطائي انه قال:

1 - أبو العباس الفرسطائي، المصدر السابق، ورقة 100.

2 - علي يحيى معمر، المرجع السابق، ص 157-158؛ احمد مختار عمر ، المرجع السابق، 144.

3 - سلام عليك: إحدى مدن بلاد الغرب الإسلامي.

4 - الوسياني، المصدر السابق، ورقة، 27-28، الدرجيني، المصدر السابق، ص 350، أبو العباس الفرسطائي، المصدر السابق، ورقة 58.

5 - جربة : جزيرة في البحر المتوسط على السواحل التونسية، فتحها أصحابي ويقع ابن ثابت عام 46هـ، سكنها الإنسان منذ القدم، طولها من المشرق إلى المغرب ستون ميلا، وهي مربعة الشكل، تكثر بها مزارع النخيل والزيتون والعتب والتين انتشر فيها المذهب الإباضي بفرقتين: الوهبية والنكارية، وموقعها أعطاها أهمية تجارية تربط بين مختلف المناطق، ارتبطت بعلاقات علمية وثقافية مع جبل نفوسة، طوال العصر الوسيط. ينظر: التيجاني، المصدر السابق، ص 124.

6 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 80.

اجتمعت مع بعض العلماء بناحية زويلة[1] -وانظر البعد الجغرافي بين كل من منطقة جبل نفوسة ومدينة زويلة- فقال: إن فتوى ابن ماطوس كلها حسنة».[2]

تلاميذه: ومن ابرز التلاميذ الذين تخرجوا عنده: أبو صالح بكر بن قاسم، وأبو موسى اليراسني، وأبو يحيى الفرسطائي.

ومن علماء الفقه بالجبل الشيخ يصليتن أبو محمد الكباوي: وينتسب إلى مدينة كباو.[3] لم تذكر المصادر تاريخ ولادته. شيوخه: أتم تعليمه عند الشيخ أبي هارون موسى بن يونس الجلالي زوج أمه التي لم تهتم به كثيرا، إلا أن الشيخ الجلالي اهتم به وضمه إلى تلاميذه وكان تلميذا نشيطا وبرع في العلم وصار من أفضل تلاميذه.[4] ونفهم من بعض الروايات التاريخية أن الشيخ أبو محمد الكباوي لم يكن متعصبا لرأيه وخاصة إذا بانتا له حقيقة من غيرهن فقد ذكر البغطوري إحدى مواقف أبو محمد التي يذعن فيها لرأي الشيخ أبو محمد ونتين الوريوري في مسائل فقهية حول الحيض ونواقض الوضوء طرحها الشيخ أبو نصر زار التيفيستي.[5] كما تعلم علم التفسير على الشيخ أبي علي الحسن الكباوي. ويبدو أن الشيخ أبا محمد صار من علماء الجبل الكبار فيما بعد ويتضح ذلك من خلال اعتماد أبي زكريا بن أبي عبد الله -والي الجبل وقتذاك- على فتاوي الشيخ

1 - زويلة: من المدن الصحراوي الليبية تبعد عن طرابلس حوالي 1300 كلم، وهي مدينة قديمة فتحها عقبة بن نافع، وهي كثيرة النخيل والثمار، وشهدت ازدهارا كبيرا في القرن الثالث الهجري، وهي ملتقى التجارية القوافل التجارية، ومنها تتفرع الطرق التجارية إلى كافة مدن أفريقيا فيما وراء الصحراء، وفي هذه المدينة قامت دولة بني الخطاب الإباضية، ينظر: الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 177.

2 - الشماخي، المصدر السابق، ص 276.

3 - كباو : تعد من المدن الكبيرة في الجبل وتطل على وادي اكراين الذي يشتهر بغراسة النخيل والتين، كما يوجد به أثار سواني مياه قديمة وهذا دليل على شهرته الزراعية وكباو تقع على قمة الجبل ويحدها من الشرق قرية فرسطا، ومن الغرب قرية تلات، ومن الشمال سلسلة جبال خلفها سهل الجفارة - (مدينة تيجي)، ومن الجنوب منطقة الظاهر، وآثار المدينة ما زالت باقية وأهلها لا يزالون ساكنيها حيث انتقلت مدينة كباو الحديثة إلى الشرق من القديمة/ ومن معالمها التاريخية : قصر كباو الذي تم ترميمه وصيانته مؤخرا في عام 2000، وكان القصر لتخزين قوت وتموين الأهالي. كما يوجد بها مسجد الشيخ أبي محمد الكباوي وهو عبارة عن غار صغير بنيت جدرانه ن الحجارة والطوب، وكذلك يوجد بها بيت المجاهد سليمان عبد الله الباروني: زرتها عام 2004.

4 - محمد بابا عمي، المرجع السابق، ص 471.

5 - والسؤال جاء من أبو نصر لأبي محمد الكباوي وهو: عن المرأة التي تنزل منها ثلاث علقات من الدم، في كل يوم علقة؟ فقال له أبو محمد: يكون لها ذلك ووقتا للحيض، ثم عرض أبو نصر المسألة على شيخ أخر وهو: أبو محمد ونتين الوريوري، الذي ذهب بدوره إلى الشيخ أبو محمد الكباوي، وقال له: ما تقول فيمن وقع من انفه علقة هل ينقض وضوئه؟ فقال له: لا ، فرد عليه الوريوري: إن وقعت أخرى؟ فقال الكباوي: لا ينتقض وضوئه، فزاده: وإن وقعت الثالثة، فأجاب الشيخ أبو محمد الكباوي، تبت أيها الشيخ !!! ، البغطوري، المصدر السابق، ورقة 17.

أبو محمد الكباوي عندما تستعصي عليه المسائل الفقهية والعلمية.[1] وتذكر كتب التاريخ: أن أبو محمد كان كثير العطاء بماله وعلمه وصحته.[2] ولما توفي حضر جنازته أبو زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي، عندما رأى منازل وشوارع مدينة كباو قال: «السلام عليك يا كباو أنت الآن مثل المنازل».[3] ويعني بكلامه بعد وفاة الشيخ أبو محمد صارت كباو كغيرها من الأماكن التي تفتقر للعلماء الكبار، والفقهاء الجهابذة، وهو نوع من التأبين والتحسر على موت عالم من علماء جبل نفوسة.

تلاميذه: عكف الشيخ أبو محمد على تعليم غيره من طلاب العلم وتخرج على يديه جمع من العلماء منهم: أبو نصر زار بن يونس التيفستي، وأبو يوسف مجدول الترغتي، وأبو يحيى يوسف ابن زيد الدرفي.

ويعد الشيخ أبو محمد زيد بن افصيت الدرفي: نسبة إلى قرية ادرف، هو الآخر من فقهاء جبل نفوسة، ولم تذكر المصادر العلماء الذين درس عليهم وربما يكون تعلم هو الآخر عند أبي هارون موسى الجلالي نظرا لأنه زامل الشيخ أبا محمد الكباوي، وكذلك لكون مدرسة الجلالي من اكبر المداري في ذلك الوقت. وكان أبو محمد زيد من العلماء والمفتين الكبار، واشتغل بالتعليم وتخر عليه ابنه أبو يحيى يوسف بن زيد الدرفي، وأبو يوسف مجدول الترغتي.

كما ظهر الفقيه أبو يحيى زكرياء بن يونس الفرسطائي: وينتسب إلى قرية فرسطا، وبها بدأ تعليمه الابتدائي على يد مشائخها وفقهائها، ثم رحل إلى مدينة شروس لإكمال تعليمه العالي على الشيخ: أبي يحيى سليمان بن ماطوس ولكنه لم يتحصل على مسكن بالرغم من كبر المدينة وقال قولته المشهورة: « مل أوسع شروس وما أضيقها»!.[4] ونفهم من النص أن مدينة شروس كانت مكتظة بالسكان ومزدحمة إلى درجة يصعب فيها إيجاد مسكن بسهولة ويسر. وذلك أمر طبيعي في مدينة هي عاصمة الجبل وقتذاك يفد إليها المسافرون والتجار من كل حدب وصب، وبالإضافة إلى شهرتها العلمي التي تجذب طلاب العلم من مختلف البقاع. شيوخه: أشار ابن ماطوس على زكرياء الفرسطائي الذهاب إلى لالوت للتعلم عند الشيخ أبي هارون الجلالي، قائلا له: «أدلك على رجل لو عرف الناس لوقفوا ببابه كما وقفوا على باب أبي عبيدة مسلم

1 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 37.

2 - المصدر نفسه والورقة نفسها.

3 - المصدر نفسه، ورقة 38.

4 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 50؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 310.

بالمشرق».[1] وبالفعل درس على الشيخ أبي هارون الجلالمي، ويذكر أول مسالة تعلمها عند الشيخ كانت حول نزول الدوم من الأنف ونواقض الوضوء.[2]

رحلاته: اهتم أبو يحيى الفرسطائي بالرحلة خارج جبل نفوسة من اجل طلب العلم والتجارة، وكانت اغلب رحلاته إلى منطقة السودان الغربي، حيث كان له الفضل والسبق في نشر الإسلام واللغة والثقافة العربية في ربوع أفريقيا فيما وراء الصحراء إذ كان تاجرا بين جبل نفوسة وبلاد السودان الغربي فقام بدعوة ملك السودان إلى الإسلام الذي رفض في البداية، وبعد عدم محاولات اقتنع الملك وأعلن إسلامه على يد الفرسطائي،[3] ثم أسلمت رعيته حيث كان الناس على دين ملوكهم. وهنا تتضح أهمية جبل نفوسة وإشعاعه الحضاري والديني على المراكز والحواضر الأخرى وغالبا ما كان يستعين أبو زكريا بن أبي عبد الله -والي الجبل في تلك الفترة- بالشيخ أبي يحيى الفرسطائي في الأمور العلمية.

تلاميذه: اهتم أبو يحيى الفرسطائي بالتدريس، ويوجد بقرية فرسطا مسجد يعرف باسمه: مسجد أبي يحيى زكرياء الفرسطائي) الذي اتخذه أبو يحيى مكانا للتعليم والتدريس فوفد إليه الكثير من طلاب العلم منهم: أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي، ووارسفلاس أبو محمد بن مهدي.

ومن علماء الفقه بالجبل الشيخ أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي: يرجع أصله إلى قرية تمصمص من قرى جبل نفوسة.

شيوخه: تعلم عند الشيخ أبي يحيى زكرياء الفرسطائي، وكذلك عند أبي الربيع سليمان بن هارون اللالوتي، وتبعد قرية تمصمص عن مدينة لالوت حوالي (200 كلم)، قطعها أبو محمد على قدمه قصد التعلم عند الشيخ أبي الربيع وفي طريقه جاز على معلم للصبيان بمنطقة تدعى: تنومات -ويبدو انه زار إحدى المدارس للمرحلة الابتدائية- فسأله المعلم ابن تريد؟ فقال أبو محمد راحل إلى مدينة لالوت من اجل طلب العلم والتعلم، فرد عليه المعلم: «نعم ما طلبت، الدنيا ظلمة والعلم فيها دليل، ركعتان من عالم خير من عبادة الجاهل ستين سنة».[4] ونفهم من هذا النص أن أبا محمد في رحلته إلى مدينة لالوت كانت لمواصلة تعليمه العالي، كما ندرك مدى التشجيع الذي يلاقيه

1 - الشماخي، المصدر السابق، ص 310، البغطوري، المصدر السابق، ورقة 50.
2 - المصدر نفسه، ورقة 51.
3 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 52.
4 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 55؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 313-314.

طلاب العلم من مختلف فئات المجتمع وخصوصا الدعم المعنوي من المعلمين والشيوخ.

تلاميذه: وبعد تخرجه أحس في نفسه القدرة على العطاء العلمي قام بافتتاح مدرسة بقريته تمصمص لتعليم الطلاب، وفي تلك المدرسة تعلمت أم ماطوس، وتعد من أول الفتيات اللاتي انخرطن في مدارس الفتيان، وبذلك تكون إحدى تلاميذ الشيخ أبي محمد خصيب، ومن تلاميذه أيضا: أبو زكرياء يحيى بن سفيان الالوتي، وأبو هارون محمد خصيب، ومن تلاميذه أيضا: أبو زكرياء يحيى بن سفيان اللالوتي، وأبو هارون موسى بن هارون الملوشائي، ويوجد بالجبل مسد يعرف (بمسجد أبي محمد خصيب).

ومن الذين برزوا في الفقه الشيخ وارسفلاس أبو محمد بن مهدي: ويرجع نسبه إلى ويغو كما أشار لذلك الوسياني.[1] فقد بدأ تعليمه وهو كبير في السن واجتهد في التعليم نتيجة لموقف أحس فيه بانكسار نفسه كما تخبر المصادر أن وارسفلاس حين مات أبوه لم يهتم بالتعليم، وكان في إحدى المرات راكبا بغلة أبيه في زيارة لمدينة شروس لبعض شؤونه، فسأله احد الرجال عن مسالة فقهية فلم يحسن الإجابة، فرد عليه الرجل: لو سالت عنها بغلة أبيك لأجابتك، فأحس بالإهانة والانكسار، وكان ذلك الموقف بمثابة الدافع والحافز لطلب العلم، فدخل مكتبة شروس بقصر (ولم) واجتهد في التعلم وبقي فيها مدة طويلة دامت اثنتي عشرة سنة حتى صار من علماء زمانه.[2]

ويشير الشماخي إلى اجتهاد وارسفلاس واهتمامه بالعلم حتى في الظروف الصعبة: «ووقع حرب بين أهل ويغو بلده وأهل شروس سبعة أعوام، ومكث في داره يدرس ديوان أبيه، ولا يرى خارجا إلا إلى حاجة الإنسان، فقام في العلم وجربه المشائخ بكثرة الاسولة في المشكلات وغيرها فما وجدوا عنده خطأ».[3]

شيوخه: ويرى أصحاب المعجم أن وارسفلاس اخذ العلم عن أبي يحيى زكرياء الفرسطائي.[4] إلا أن الباحث لا يرى ذلك وإنما والده هو الذي اخذ عن أبي يحيى الفرسطائي، وصار وارسفلاس من المعلمين في الجبل.

تلاميذه: ومن ابرز تلاميذه: أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوشائي، وأبو يعقوب يوسف بن يعقوب ابن تيمال.

1 - الوسياني، المصدر السابق، ورقة 165.
2 - - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 104.
3 - الشماخي، المصدر السابق، ص 327.
4 - محمد بابا عمي، المرجع السابق، ص 445.

ومن فقهاء الجبل الشيخ أبو نصر زار بن يونس التيفستي: وينسب إلى قرية تيفست، إحدى قرى جبل نفوسة.

شيوخه: درس على الشيخ أبي محمد الكباوي، ومن أقواله المشهورة عنه: «لن ينجو من علماء آخر الزمان إلا مثل ما يسلم من ضوء المصابيح إذا رفعوا من بيت إلى بيت في ليلة ذات ريح، ثم، قال: هذا في العلماء فكيف الجهال؟ دود لا يفلت منهم احد»[1] وأيضا من كلامه: «الكلام كله لغو، إلا مسالة في الخير، واستعاذة من الشر، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف.[2] والنهي عن المنكر، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله اكبر»، «ولما حضرته الوفاة اخذ يبكي، فسألوه ما يبكيك؟ قال: خوفا من الفتيا، قلت دار من دور نفوسة لم يدخلها فتياي».[3]

تلاميذه: أبو سهل البشر بن محمد التندميرتي، وأبو زكرياء التندميرتي، وأبو يوسف بن وجدليش بن في.

وكذلك يعد الشيخ أبو يوسف وجدليش بن في: من الفقهاء الذين ظهروا بالجبل شيوخه: اخذ العلم عن الشيخ أبي يحيى يوسف بن زيد الدرفي، كما اخذ عن الشيخ أبي نصر زار بن يونس التيفيستي.

تلاميذه: ثم توجه إلى التدريس، وتخرج على يديه العديد من طلاب العلم من أبرزهم: أبو الربيع سليمان بن موسى، وأبو سهل البشر ابن محمد التندميرتي.

ويعد وجدليش ضمن سلسلة نسب الدين المعروفة في المصادر الفقهية بالجبل، وان أبو يوسف تعد شخصيته أول من أسندت إليه وظيفة المحتسب بالجبل كما بشير الشماخي لذلك قائلا: «وكان أمر سوق جادو إليه يأذن لمن يشاء أن يبيع ويمنع من في ماله شبهة».[4] وهذا دليل على نجاحه وسمو أخلاقه حتى وثق به الأهالي في وظيفة حساسة لها علاقة بأموال ومصالح المجتمع. كما تذكر المصادر التاريخية انه في بداية تعليمه كان من شدة حرصه واجتهاده في طلب العلم يعلق لوحه بين عينيه ليقرأ فيه وهو في نفس الوقت يخرط الزيتون.[5]

---

1 - الجيطالي، المصدر السابق، ص 209.

2 - المصدر نفسه، ص 209

3 - الشماخي، المصدر السابق، ص 229.

4 - الشماخي، المصدر السابق، ص 334.

5 - المصدر نفسه، ص 334.

والشيخ أبو يوسف مجدول الترغتي: كان من علماء الجبل فيلا الفقه وينتسب إلى قرية تترغت.[1]

شيوخه: يعد من تلاميذ الشيخين: أبي محمد الكباوي وأبي محمد الدرفي وخاصة فغي مرحلة تعليمه العليا حيث ظل يتعلم على الأول حوالي خمس عشرة سنة، وعلى الآخر مدة دامت حوالي شبع عشرة سنة.[2] وبالتالي مكث يطلب العلم لمدة اثنتين وثلاثين سنة. وكان طالبا ذكيا دائم السؤال والنقاش مع أساتذته وشيوخه حتى قال له أستاذه أبو محمد الدرفي: «ليس لك هم إلا المسألة يا مجدول».[3] وكثرة الأسئلة هي الطريق لاكتساب المعارف والعلوم، وفي هذا الصدد قيل: «والسؤال نصف العلم، وقيل العلم كله، ومعنى ذلك أن السؤال سبب العلم ومفتاحه».[4] وكان مجدول كثيرا ما يعتز بأساتذته السالفين ويقول من لم يتعلم عند أبي محمد الكباوي ولا عند أبو محمد الدرفي من أين له ما يفتي به؟. ولم يقم الترغتي بمهم التعليم عندما طلب منه ذلك، واعتذر بانشغاله وأعماله المالية الخاصة به، وذلك لم يكن له تلاميذ.

ونلاحظ عملية التواصل العلمية، وان الأجيال المتعاقبة تأخذ عن بعضها البعض فهذا العلامة أبو يوسف وجدليش ابن في من علماء القرن الرابع الهجري اخذ العلم عن الشيخ أبي نصر زار ابن يونس التيفستي، وكذلك من الشيخ أبي يحيى يوسف بن زيد الدرفي.

وهنا تبرز إحدى نساء الجبل اللاتي اشتغلن بالعلوم ومنها الفقه وهي أم ماطوس: لم اعثر على اسمها في المصادر وإنما ذكرت بكنيتها، وهي من قرية سماها البغطوري جارا

---

1 - تترغت: قرية من قرى الجبل، تقع في قمة جبل، وهي على شكل مثلث رأسه إلى الغرب وقاعدته إلى الشرق، ويحيط بها فروع وادي اوتلجام من ثلاث جهات الشرق والشمال والجنوب، أما من ناحية الغرب فتحدها قرية أم صفار الحديثة، وسكن أهل تترغت في مراحل متقدمة الغيران قبل انتقالهم إلى حافة الجبل وبنائهم البيوت بالحجارة والطين والجبس، وهي إلى الغرب منها، وأم يعثر الباحث على معلومات تفيد عن الفترة الزمنية التي تم فيها الانتقال بين المرحلتين، وآثار تترغت ما زالت قائمة، ومن معالمها التاريخية مسجد الشيخ أبو القاسم جانا التترغتي بجانب منطقة الغيران وهو عبارة عن بناء داخل غار تحت الأرض يقوم الأهالي بصيانته وبذلك فقد بقي متماسكا، كما يوجد مسجد أخر على الحافة اسمه مسجد الثنية (لم اعثر على اسمه الحقيقي) توجد على احد جدرانه كتابة ترجع إلى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وربما يكون هو تاريخ صيانة لان المساجد عادة ما تصان وبذلك يرجع بناؤه إلى ما قبل ذلك العصر، زرتها عام 2004.

2 - الجيطالي، المصدر السابق، ص 92.

3 - البغطوري، المصدر السابق ، ورقة 119، الشماخي ، المصدر السابق، ص 331.

4 - أبو العباس احمد الفرسطائي، المصدر السابق، ورقة 46.

يزرار بينما سماها الشماخي جاراصرا[1] ولم يذكرها المؤرخ الوسياني ضمن نساء الجبل الصالحات. أخذت العلم عن الشيخ أبي محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي، وقيل: «إنها تمشي إلى أبي محمد التمصمصي في الليل فتحضر مجلس الذكر».[2] وكانت ما زالت بكرا ويعتبرها بعض الباحثين المعاصرين أول فتاة ليبية تشترك في مدارس الفتيان.[3] ولم تتحدث المصادر عن تلك المعلومة. وكانت أم ماطوس تنتقل بين قرى الجبل من اجل التحصيل العلمي وزيادة المعرفة وحضور مجالس الذكر والوعظ إلى جانب الرجال، حتى ولو كانت في ظروف صحية لا تسمح بذلك، وهذا ما أشار إليه المؤرخ البغطوري قائلا: «مرت إلى تندوزيغ لتحضر المجلس فولدت بنتا».[4] والشماخي في سيره يقول: «وذهبت ذات مرة ليلا إلى اجناون لتحضر المجلس، وبينهما قرب عشرة أميال ومعها أمتها».[5]

وبذلك يتضح أن بعض النساء في الدبل تمكن من البروز وسط مجتمع الرجال في الجوانب العلمية والثقافية فهذه أم ماطوس تعد نموذجا للمرأة المسلمة التي تحضر المجالس العلمية وتناقش الرجال في قضايا تهم الدين والمجتمع والأخلاق، وتخرج في ظروف صعبة، وتقطع المسافات البعيدة عن قريتها لحضور مجالس العلم والدين.

وكذلك الشيخ أبو هارون موسى بن هارون الملوشائي: من الفقهاء المبرزين بجل نفوسة، شيوخه: اخذ العلم عن أبي محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي انشأ مسجد ابناين وأقام فيه لتعليم الطلاب الذين وفدوا عليه بشكل كبير من مختلف قرى ومدن الجبل. ويروى عنه انه ينعس أحيانا أثناء أداءه الدروس في المجلس العلمي الذي يقيمه لطلابه، فكانوا يذكرون الموت فعند ذلك ينتبه ويستقيظ [6]! وذلك ما للموت من شان في نفوس العلماء والشيوخ، وأرجح نعاسه أثناء المجلس يعود لمسؤولياته المتعددة فيس شؤون الحكم والإدارة، ورعاية مصالح الناس، والسهر على راحتهم. بالإضافة إلى شؤونه الخاصة.

وكذلك من فقهاء الجبل المشهورين الشيخ أبو عبد تالله محمد بن جلداسن اللالوتي: نسبة إلى مدينة لالوت (نالوت حاليا) وقد ولد بها وتعلم عند مشايخها ويصفه

1 - جاراصرا: من القربى القديمة بالجبل وهي تقع إلى الشرق من مدينة كباو وغرب قرية تمصمص، تحيط بها غابات الزيتون، وتجاورها قريتا: اوجارون، وماطس، للأسف لم أقف عليها مباشرة.
2 - البغطوري، المصدر السابق، ص 56-57.
3 - قناطر الخيرات، الجيطالي، تحقيق: عمرو النامي، 90؛ احمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 145.
4 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 57.
5 - الشماخي، المصدر السابق، ص 317.
6 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 22.

الشماخي بأنه: «بحر العلم الزاخر وإمام الحكام الفاخر»[1] ويتضح من النص انه كان عالما كبيرا، ولم يذكره الوسياني في سيره ولا الدرجيني في طبقاته، ويشير البغطوري إلى ابن جلداسن كان يمكث في شروس فترة طويلة من الزمن عند يحيى بن ماطوس ويفصل بين المتخاصمين ويقول لابن ماطوس: أني أتعلم أنا أيضا.[2] وبذلك ندرك مدى تواضع ابن جلداسن وذلك هو تواضع العلماء بالرغم من كونه عالما وحاكما على لالوت حينذاك. لم تذكر المصادر المشايخ الذين تعلم عندهم.

تلاميذه: أما تلاميذه فمنهم: يحيى بن سفيان اللالوتي، وأبو محمد عبيدة بن افلح اليجلاني، وجلدين أبو عبيدة البغطوري، ويوجد في مدينة نالوت مصلى يعرف باسمه.[3]

والشيخ أبو زكرياء يحيى بن سفيان اللالوتي: يعد من المشائخ الذين اهتموا بالفقه وينسب إلى مدينة لالوت.

شيوخه: اخذ العلم عن الشيخين: أبي محمد خصيب التمصيصي وعن الشيخ أبي عبد اله محمد بن جلداسن اللالوتي، وتشير المصادر إلى أن أبا زكرياء يحيى بن سفيان قد عمر طويلا فاجتاز الذين تعلم عندهم والذين تعلم معهم والذين تعلموا عنده.[4] وكانت عنده حلقة علم تخرج على يديه طلاب عديدون منهم: أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوشائي، وبمدينة لالوت (نالوت) مسجد ما زال يحمل اسمه.[5]

ومن مشائخ الجبل أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوشائي: نسبة إلى تملوشايت. اهتم بالفقه وبرع فيه. واخذ العلم من عدة شيوخ منهم: أبو زكريا يحيى بن سفيان الالوتي، وأبو سهل البشر بن محمد التندميرتي، وأبو يوسف وجدليش بن في البحلاني، ووارسفلاس أبي محمد بن مهدي. وكان شيخيه أبو زكرياء يحيى يتفرس فيه الذكاء والنجابة حتى فيه: «إن يفهم هو فلا يفهم غيره».[6] وكان أبو الربيع كريما بماله ينفقه على زملائه الطلاب وأساتذته فعندما كان يدرس على الشيخ أبي محمد

1 - الشماخي، المصدر السابق، ص 298.
2 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 115.
3 - مصلى ابن جلداسن: هو عبارة عن بناء صغير جدا، كان يتعبد فيه الشيخ ابن جلداسن، وهو في وسط مدينة نالوت، يبدو انه كان في ذلك الوقت بعيدا عن المدينة وحركة الناس، زرته عام 2004.
4 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 9.
5 - مسجد أبي زكريا يحيى لن سفيان اللالوتي: يقع هذا المسجد في مدخل مدينة نالوت من جهة الشرق، وتم تجديده وصيانته، وهو عبارة عن بناء مربع الشكل تقريبا، وهو لا يتجاوز طوله الأربعة أمتار وعرضه الثلاثة أمتار تقريبا، زرته عام 2004.
6 - الشماخي، المصدر السابق، ص 296.

وارسفلاس، ذهب إلى السوق ليشتري بعض الحاجيات، إلا انه غير رأيه واشترى ثورا وقدم به لشيخه وللطلاب وذبحه لهم.[1] وبعد تخرجه صار معلما في مسجد ابناين الذي أنشأه والده أبو هارون موسى. وله طريقة تفرد بها إجازته لمن يسندون عليه علمهم، فمن يأتيه بهذا الخصوص ما عليه إلا أن يقرأ عليه العشر كلمات من التوحيد.[2]وبذلك تخرج على يديه مجموعة تلاميذ منهم: أبو زكريا يحيى ابن الخير الجناوني. وأبو محمد عبد لله بن مطكود.[3] وكانت حياته مليئة بالمهمات الصعبة فقد جمع بين الإمارة والقضاء والتدريس، ويبدو انه كان ينتقل بين المدن والقرى بالجبل وخاصة في شهر رمضان المبارك ليتقيد الناس وأحوالهم، وانه: «صام ذات مرة رمضان في جادو، واجتمعوا في القراءة والعبادة، فقال لأبي عمر حجر عليهم أن لا يرقدوا في الليل فمن كسر حجرك فنزله في الحبس».[4] وحتى وإن كان في رأيه بعض الشدة إلا إنها في مصلحة المجتمع لأنه يحاول نشر روح العلم والتقوى ومحاربة الفساد والكسل، وله عادة حسنة وهي كلما اقبل شهر رمضان يرسل إلى الشيوخ والنساء المهتمات بالعلم والتفقه أن يجتمعوا في بيته ويعقدوا مجالس علمية يتم فيها طرح القضايا الفكرية لمناقشتها ودراستها.[5] وليضرب لهم مثل في الجد والعطاء فقد كان يقوم بتدريس طلابه بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل.[6] وكان من عادته أن يطالع الكتب ليلا، وفي أواخر حياته كانت تصله الكتب من فزان،[7] فيتدارسها بصحبة محمد بن زكريا البغطوري، ومحمد بن يخرز، ونلاحظ هنا استمرار العلاقات الثقافية بين فزان وجبل نفوسة خلال أواخر ق: (4هـ/10م). ومن المشتغلين بالفقه بالجبل الشيخ أبو زكريا يحيى بن جرتاز اللالوتي: نسبة إلى مدينة لالوت (نالوت)، وهو من علماء ق: (4هـ/10م) وهو من علماء الجبل الذين لهم مشاركات علمية خارج الجبل، حيث شارك في تأليف ديوان غار امجماج[8] مع سبعة علماء في جزيرة جربة ويوجد في الجبل بمدينة لالوت مصلى يعرف باسمه.[9]

1 - البغطوري، المصدر السابق، ورق 27-28.

2 - المصدر نفسه، ورقة 28.

3 - الشماخي، المصدر السابق، ص 344.

4 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 26.

5 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 29.

6 - علي يحيى معمر، المرجع السابق، ص 195.

7 - جناو بن فتى، المصدر السابق، ص 21؛ البغطوري، المصدر السابق، ورقة 27

8 - غار امجماج: يوجد هذا الغار في جزيرة جربة، بالقرب من مسجد ابن بيان بين حومتي بازم وجعبيرة، وهو عبارة عن غار مستطيل الشكل لاثني عشر رجلا، والعلماء الذين شاركهم ابن جرناز هم: أبو عمران موسى بن زكريا المزاتي الدمري، وأبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي، وأبو عمرو النملي الزاوغي، وجابر بن سدر مام الجربي، وكباب بن مصلح المزاتي، وأبو مجبر توزين المزاتي. ينظر: سالم بن يعقوب، المرجع السابق، ص 97.

9 - مصلى الشيخ ابزكريا يحيى بن جرناز: يوجد في مدينة نالوت، ويقع في وسط الجبل الذي يشرف على غابة

القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي شهد هذا القرن تطورات وأحداثا تاريخية كانت السبب وراء إضعاف الحركة العلمية في بلاد المغرب عموما وبالتالي فمنطقة جبل نفوسة تأثرت من جراء تلك الظروف والمتمثلة في هجرات قبائل بني هلال وبني سليم الغير المنتظمة، التي قام أفرادها بأعمال من شانها أن تزرع القلاقل وأشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: «وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى افريقية كالجراد وأربعين».[1] ومن خلال النص ندرك أن المنطقة مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي على الحركة العلمية بعدما كان العلماء يقومون بواجباتهم الملقاة على عاتقهم في التعليم وإحياء السير والآداب انقلبت الأمور عكس ذلك وكادت أن تنقطع.[2]

وكان ظهور العلماء ق: (5هـ/11م)، بشكل قليل اختلف عن القرنين السابقين ومن أشهرهم: الشيخ أبو زكرياء يحيى بن الخير بن أبي الخير الجناوني: نسبة إلى قرية اجناون، وذكر محقق كتاب قناطر الخيرات أن أبا زكرياء الجناوني عاش في القرن السادس الهجري، إلا إنني أرى انه عاش في أواخر القرن الرابع الهجري، وأوائل القرن الخامس الهجري، لأنه معاصر لعديد من علماء القرن الخامس الهجري، وسيأتي الحديث عن البعض منهم لاحقا.

شيوخه: تعلم في مسجد ابناين على يد الشيخ أبي الربيع سليمان ابن أبي هارون موسى الملوشائي، ومكث مدة طويلة في التعلم دامت اثنتين وثلاثين سنة حتى صار من كبار علماء عصره، ويذكر الشماخي في سيره رواية ظريفة للشيخ أبو زكريا يحيى الجناوني الذي لما أراد: «الانصراف من عند شيخه والوادعة قال: أمهلوني حتى ادخل خلف السترة لأنظرها، ولعلى أن اسأل عنها».[3] وهذا يبين مدى حرصه على المعرفة والوقوف على الأشياء مهما كانت بسيطة في نظر البعض وعقب إتمامه التعلم إلى قريته اجناون وأسندت إليه الفتوى -والإفتاء ليس مقتصرا على الجوانب الفقهية فحسب وإنما حتى الجوانب الإدارية وغيرها- ويذكر الشماخي انه ظل فترة طويلة يفتي للناس: «ولم يتوقف ولو في مسألة واحدة مع كثرة السائلين في أي فن من الفنون سألوا»[4] وجلس

تالة، ويبعد عن مسجد تيندرار حوالي 100متر إلى الغرب منه، ويوجد داخله محراب، والمصلى محاط بسور قديم من الحجارة، وبجانبه مقبرة قديمة، زرته عام 2004.

1 - ابن خلدون، العبر، ج6، ص 18.

2 - عبد الله الباروني، المصدر السابق، ص 24؛ عز الدين عمر موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، بيروت: دار الشروق، 1983، ص 16-17.

3 - الشماخي، المصدر السابق، ص 636.

4 - المصدر نفسه، ص 535-536.

للتعليم في قريته وهناك مسجد في اجناون عرف باسمه[1] ويبدو انه المكان الذي كان يدرس فيه طلاب العلم.

ومن تلاميذه: تخرج على يديه الكثير من العلماء منهم: أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي صاحب كتاب التحف المخزونة،[2] وأبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (471-474هـ/1078-1082م)، صاحب كتاب سير الأئمة وأخبارهم[3] وداود بن هارون أبو زكرياء الباروني.

أبو محمد عبد الله الجدولي: أصله من قرية تيمجار،[4] من علماء الفقه بالجبل شيوخه: اخذ العلم عن الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون، وكانت فيما بينه وبين أستاذه مراسلات فقهية وأجوبة ويبدو انه كان المفضل عند شيخه بين سائر التلاميذ.[5] ومن المهتمين بالفقه الشيخ أبو زكرياء يحيى الجادوي: نسبة إلى مدينة جادو[6] واهتم بدراسة الفقه، ونسب إليه ونسب إليه الشماخي كتاب الوضع حيث قال: «وأظنه مؤلف كتاب مؤلف كتاب الوضع وهو كتاب مفيد به يقع ابتداء من أراد الفقه والله اعلم»[7] إلا أن

1 - مسجد أبي زكرياء يحيى الجناوني: يوجد في قرية ايجناون، وتم هدمه ولم يبق منه إلا آثاره، وكان في الأصل بناء تحت الأرض، زرته عام 2004.

2 - كتاب التحف المخزنية في إجماع الأصول الشرعية: والكتاب يقع في جزأين الأول عالج فيه القضايا التالية: ما لا يسع الناس جهله، الولاية والبراءة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحقيقة الإيمان والكفر، مسألة خلق القران، كما تحدث عن جوانب في العقدة، أما الجزء الثاني فقد جاء أكثر تجريدا في أبواب منها: باب في الحكمة ، باب في ما الصفات التي هي الموصوف بها، باب في التوحيد، والباب الأخير في أسماء الله وصفاته. ينظر معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 215-216

3 -كتاب سير الأئمة وأخبارهم: يعد من أقدم كتب السير والطبقات الإباضية، واعتمد عليه اغلب كتاب السير الذين جاءوا من بعده مثل: الوسياني، والبغطوري والدرجيني والشماخي، والبرادي، اهتم بسير العلماء والمشائخ من أهل المغرب، وبجانب من تاريخ جبل نفوسة، كما تتبع تاريخ الدولة الرستمية، قام بتحقيقه: المستشرق الفرنسي ماسكراى، ونشره باللغتين الفرنسية والعربية، عام 1878م، ثم حققه : إسماعيل العربي كما حققه: عبد الرحمن أيوب. ينظر معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 451.

4 - تيمجار: من مدن الجبل القديمة (أولاد أبو جديد حاليا) تقع في صدر الجبل من الجهة الشمالية شرقية لوداي أمسين، ومن الغرب يحدها مجرى وادي أمسين، ومن الجنوب قرية امرساون والكرومة. ومن الشمال منطقة أولاد أبو جديد الحديثة، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ علي بن يخلف التيميجاري، وقصرا: المالطي وأولاد أبي جديد. زرتها عام 2004.

5 - الشماخي، المصدر السابق، ص 537.

6 - جادو: من المدن الكبيرة في جبل نفوسة، وتحدثت المصادر التاريخية عن أهميتها السياسية والاقتصادية والعلمية، وكانت المدينة الثانية في الجبل بعد مدينة شروس ذكرها البكري في مسالكه وممالكه قائلا: «وفي وسط هذه القبائل مدينة كبيرة تسمى جادوا لها أسواق ويسكنها يهود كثير». وتقع على رأس الجبل، تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 180 كلم، يحدها من الشرق قرية طرميسة، ومن الغرب قرية مزو، ومن الشمال قرية يوجلين واوشباري، وتلات اونميران، ومن الجنوب غابات الزيتون. زرتها عام 2004.

7 - الشماخي، المصدر السابق، 551.

البرادي يرى أن مؤلف كتاب الوضع هو أبو زكرياء الجناوني وهذا هو الرأي الأرجح، لاهتمام البرادي بمؤلفات الإباضية عموما حيث ألف كتابا في هذا الصدد سماه (تقييد كتب أصحابنا) كما أن أبو العباس الشماخي غير متأكد من روايته حيث يقول: «ولعل هذا الظن خطأ».[1] وللجادوي مرثية على أبي يحيى استحسنها أهل البلاغة والمعاني.

وتتواصل الأجيال عبير القرون في التعليم والتعلم والأخذ بعضهم عن بعض، ونشر العلوم والدفع بالمسيرة التعليمية في مختلف قرى ومدن الجبل ومن أشهر علماء ق: (6هـ/12م) وجدليش أبو يوسف الامللي: ظهر خلال النصف شيوخه: اخذ على الشيخ: داود بن هارون،وهو يعد في سلسة سب الدين.[2] واخذ عنه مجموعة علماء منهم: أبو يحيى زكرياء ابن إبراهيم.

ومن علماء الفقه بالجبل في القرن: (7هـ/13م)، الشيخ أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، ينتسب إلى قرية تملوشايت ويعد من العلماء الكبار، اخذ العلم على يد خاله الشيخ أبي يحيى زكريا بن إبراهيم الباروني، ونبغ في عدة مجالات منها: (الفقه، والأصول، وعلم الكلام، والآداب والشعر)، فهو بذلك يمثل موسوعة متحركة. وبفضل التكوين العلمي تمكن الشيخ أبو نصر الملوشائي من تأليف مجموعة كتب جاء اغلبها على هيئة قصائد شعرية . فأما ما يخص الفقه فألف متن الرائية في الصلاة وأحكامها الفقهية وما يتعلق بها من جميع وظائفها وهي في مائة واثنتين وأربعين بيتا، ونقتبس منها بعض الأبيات، وهذا مطلعها:

سما من سما بالجد والعزم والصبر *** وسهر الليالي والسرى ولتهجري

وغودر بالتسويف في النوم أو غدا *** اخو العجز والكسل البطئ عن الخير

أحب فتى ماضي العزائم حازما *** لدنيا وأخرى عاملا بالتشمر

وأما اخو النومات لا مرحبا *** بهولا بالجثوم الراكد المتدثر

ثم قال:

يفرق هذا الدهر بين أحبة *** من الأهل والأولاد والنشب الدثر

كتفريق بين العبد والكفر حفظه *** على الصلوات الخمس من أول العمر

1 - نفس المصدر والصفحة.

2 - معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 444.>

فمن ضيع المفروض من صلواته *** أو آخر منها فهو أضيع للغير

ومخرم بعضا من وظائفها التي *** تتم بها لا عذر إلا لذي عذر

إذا قمت للتوجيه بالقصد فانتصب *** بقلب خلي فارغ من سوى الذكر

وقل خاشعا وجهت وجهي للذي *** تقدس عن ضد وند ومنكر

وقف خاليا من العلائق إنها *** مناجاة مولاك الجليل المدير

ولا تخلها استصحاب حال بنية *** وخوف وأطماع ريائك فاحذر

لدى الكعبة البيت المحرم فانوها *** صلاة وداع بالرحيل إلى القبر

واحرم بتكبير صحيح مجرد *** من اللحن والتصحيف واجهر وكبر

فتحريمها التكبير مفتاح بابها *** متى لم تصحح لم تلج دارة الأمر

إذا كبر العبد المصلي بصحة *** تلقاه ترحيب من الواصل البر

مقلم شريف ليس يعرف قدره *** سوى من تخلى من علائقه الخشر

وليس خشوع الجسم يوما بنافع *** إذا غاب قلب في شعاب بتدبر

فقل واستعذ بالله قبل قراءة *** وبسمل كما قد جاء في النص والذكر

فمن لم يعوذ فالصلاة نقيصة *** وقيل باعجام لصاد فقس وادر

ولابد من أم الكتاب قراءة *** لفرض ونفل في الجهار والسر

وراء إمام أو صلاة المفرد *** فما فل منها فليعده على الفور

وأما صلاة الجهر فليقر تاليا *** ثلاثا ومن آى قدر سورة كوثر

فما دونها عجز وخزم مذموما فوقها فالفضل في كل أكثر ورتل بيانا واحتسابا قراءةبقطع الحروف المعجمات أو الغير

وجاء في آخرها:

لقد أسهبوا شرح الصلاة وأطنبوا *** فما بلغوا معشار عشر ولا عشر

ونظمت فيها القافيات لأنها *** قد أغفلها الشيخ العماني أبو بكر

على أن شمس العصر شيخ مبرز *** أتي ببديع الصنع بالظلم للنثر

ولم يحد منوالا تقدم قبلة *** بنظم علوم الفقه والدين بالشعر

فاعجز أهل العصر كلا وبعده *** كما اعجز الأمي من فاه بالسحر

عليه سلام الله ثم صلاته *** ورضوانه يا حبذا طيب الذكر

فطوبى لمن كان النبي شفيعه *** وراح إلى الفردوس مع صالح الزمر

كما ألف الشيخ أبو نصر الحائية، وهي لغرض تحريض الطلبة للاهتمام بطلي العلم والجد والاجتهاد، والتأسي بسيرة اليلف الصالح، وعدم تضييع دقائق العمر الثمينة في توافه الأمور، وكانت في مائة بيت، وتقتبس منها:

الحمد لله على ما أراح *** من نعم أو نقم قد أزاح

احمده حقا واشكره *** على الآلاء الظاهرات الوجاح

والصلوات الطيبات على *** نبيه احمد زين البطاح

ثم الرضى عن أهل قدوتنا *** أئمة الدين نجوم الفلاح

وبعد حي الله حزب الهدى *** تحية تحكي محيا الصباح

يعبق رياها كنشر الشذا *** كالمسك ضوعا ومتى صين فاح

أهلا بذكراهم وسهلا بهم *** ومرحبا بالقسمات الوضاح

إن ازدواج العقد مستحسن *** وواسط العقد جمال الوشاح

وقال أيضا:

أكرم بحزب وبمحضرة *** تقطف أزهار الكتب فصاح

لولاهم إذ هم مصابيح الدجا *** نادا عميد الجهل فيحيى فياح

احيوا علوم الدين من بعد ما *** كادت لتذروها هبوب الرياح

هم لذة الدنيا وسر الفؤاد *** وقرة العين وانس لصاح

من قام بالإسلام يحيى به *** فهو كمن أحيا قتيل الجراح

كذاك من مات على يده *** كقاتل الناس جميعا كفاح

جادتهم الرحمة واصبة *** ولا عدتهم صفحات النجاح

يأيها الحزب اسمعوا ثم عوا *** قول الأخ النصيح أي النصاح

شيخ تملي دهره حقبا *** يغدا عليه بالفنا ويراح

أو في ثنبات الوداع على *** قصم الثنايا بعد غر صحاح

يوصيكم بالجد والاجتهاد *** وبازدياد الخير كل صباح

وقال فيها أيضا:

فاغتنموا أيامكم إنها *** سحائي الصيف قشاع سراح

أعماركم أسفاركم فاقتضوا *** مآرب الاوبات قبل المراح

إن شباب القوم عارية *** كضيف ليل ومع الفجر راح

فهذه الأنفس مستامة *** يسومها الموت غدوا ورواح

وهذه الآجال موقوتة *** مجهولة الحين غياب المتاح

وهذه الأنفاس معدودة *** وكل معدود سينفذ صاح

وهذه الأرزاق مقسومة *** فهو حظوظ مثل ضرب القداح

وقال في آخرها:

حذار من دينك أن يخطفوا *** خطف عقنبات لحوم الاضاح

فالدين فل بل طريد غريب *** مقلص الافياء واه قراح

لم إلا رسمه واسمه *** وحرمات الله قد تستباح

فليبك باك أو ينح شجنا *** فما عسى يجديه صاح وناح

وانشد الله أديبا رآى *** عيبا أقام العذر لي وأشاح

فلست اعني رابعا للخليل *** ولا لضليل مجون الملاح

لكن خطابي للذي يعتني *** بالعلم والآداب والافتصاح

هذا كلامي والسلام على *** كل أديب ما اضاءت براح

أبناء جدئي حيثما قطنوا *** وأينما حلوا بأقصى النواح

خصوا أخاكم بالدعاء إذا *** قرأتوها واعلموا بالنصاح

كم ألف الشيخ أبو نصر الدالية، المسماة برسالة: (المسترشد وكفاية المستنشد في الوعظ والإرشاد)، كما ألف كتاب سماه: مقامات، ويوجد في قرية تملوشايت مسجد ما زال يحمل اسم الشيخ أبي نصر التملوشايتي.[1]

ومن ابرز علماء الجبل وكان لهم دور بارز سيما في الفقه الشيخ أبو موسى عيسى بن عيسى الطرميسي: نسبة إلى قرية طرميسة، وهو من علماء القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، أسهم بشكل بارز في نشر العلوم وترسيخها وتربية الطلاب وتوجيههم توجيها علميا.

شيوخه: تلقى علومه على الشيخ أبي يحيى بن وجدليش الامللي، عند إتمامه مرحلة التعلم افتتح مدرسة في قريته، وكان الشيخ أبو موسى يتبع طريقة اختلف بها عن باقي مدارس الجبل وقتذاك وهي توجيه الطلبة نحو التأليف وعدم الاكتفاء بالرواية الشفوية، فاستجاب لذلك الشيخان المذكورين أنفا (الشماخي صاحب كتاب الإيضاح والجيطالي صاحب كتاب قناطر الخيرات)، وانتقل الشيخ أبو موسى عيسى في مرحلة لاحقة من مراحل عطائه التعليمي إلى مدرسة الشيخ أبي زيد المزغورتي بقرية مزغورة حوالي عام (700هـ/1300م).[2] وعندما حضرته الوفاة أوصى أن تكون مكتبته العامرة من بعده وفقا لطلبة العلم والفقهاء.[3]

تلاميذه: تتلمذ على يديه العديد من طلاب العلم بالجبل، ومن أبرزهم الشيخ عامر الشماخي، والشيخ إسماعيل الجيطالي، وفاته: توفي عام 722هـ/1322م. ومن الفقهاء الذين نبغوا بالجبل الشيخ ايون يحيى زكرياء بن إبراهيم بن زكرياء بن أبي هارون الباروني: سليل أسرة الباروني العلمية، التي أسهمت بدور كبير في نشر العلوم في جبل نفوسة.

شيوخه: اخذ العلم عن أبي يوسف وجدليش الامللي وبرع في دراسته وأجازه شيخه وصار في سلسلة نسب الدين بالجبل.

وخلال ق: (8هـ/14م) ظهر بالجبل فقهاء بارزون إلا أن الشيخ أبو ساكن عامر بن علي ين عامر ين سيفاو الشماخي يعد من أبرزهم، وليس هذا فحسب فالشيخ عامر يعد من الفقهاء على مستوى العالم الإسلامي.

1 - مسجد الشيخ أبو نصر فتح بن نوح التملوشايتي: يقع في مدينة تملوشايت القديمة ماجر، وانه كان اكبر مساحة من وضعه الحالي، بحيث كان طوله تقريبا 12 متر وعرضه 9 متر، وقد تساقط أكثره ولم يبق منه سوى بيت واحد ما زال بحالة جيدة وله باب بفتح على الجهة الشرقية، زرته عام 2004.

2 - الشماخي، المصدر السابق، ص 552-553.

3 - المصدر نفسه، ص 553؛ احمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 153

ولد بمدينة يفرن، لم تشر المصادر إلى سنة ولادته !، وبها عاش وترعرع، عرف منذ صغره بالصلاح، كان يرعى مرة بقرة لأبيه ماسكا لها بالرسن فجاز عليه أعرابي وقال له: لما تمسكها دون الأطفال؟، فرد عليه عامر: أخشى أن تغشى زروع الناس، فذهب الأعرابي إلى والده وقال له: إن ابنك ينفع للعلم والدراسة لا لرعي الأبقار.[1] وفعلا أرسله والده إلى المدرسة ليتعلم ودرس بداية في مدارس يفرن.

شيوخه: كان والده من معلميه الأوائل بالإضافة إلى مشائخ مدينة يفرن وهناك تعلم المراحل الأولى، ثم رحل إلى قرية طرميسة ليكمل تعليمه العالي في مدرسة الشيخ أبي موسى عيسى الطرميسي وظهر نبوغه وتفوقه.

جهوده العلمية: وبعد تخرجه صار معلما في مدرسة شيخه، ثم انتقل إلى مدرسة أبي زيد المزغورتي بمزغورة، وتعاون مع زميله الشيخ أبي عزيز في تنظيم برامج المدرسة وطلابها، حتى استقامت فيها الأمور وعندما اطمأن عليها توجه إلى قرية ميتيون،[2] وانشأ هناك مدرسة وأقام فيها للتعليم والتدريس مدة ثلاث عشرة سنة، وكذلك الأمر لما أدرك إنها تسير في الاتجاه الصحيح، ورجع إلى موطنه يفرن سنة 756هـ/1355م، وفي قرية المعانيين أسس مدرسة في المسجد الكبير[3] وأقام يدرس بها حتى وافاه الأجل.

مؤلفاته: اهتم الشيخ عامر الشماخي بالتأليف بناء على توجيهات شيخه وأستاذه أبي موسى الطرميسي فألف: رسالة متن الديانات في الأصول بناء على طلب احد تلاميذه وهو حازم بن نوح المرساوني، ويبدو انه ألفها في قرية ميتيون لقرب قرية المرساوني منها (إمرساون)، وكتاب الإيضاح في الفقه، ويطلق عليه اسم الديوان ويقول الشماخي: «ألف ديوانه في عشرة الثلاثين بعد موت عمنا عيسى، وقبل موت عمنا أبي عزيز».[4] ويعني ذلك انه ألفه ما بين سنة (730هـ أو 739 هـ)، أذن الشماخي ألف كتابه قبل رجوعه إلى يفرن فمن المحتمل أن يكون مكان التأليف إما في طرميسة وهذا مستبعد لأنه مازال طالبا وقتها والاحتمال الأرجح إما في ميتيون أو مزغورة لأنهما فترة النضج العلمي بالنسبة للشماخي والمقدرة على تأليف كتاب فقهي بهذا المستوى، وقصيدة الأزمنة.

---

1 - الشماخي، المصدر السابق، ص 561.

2 - محمد بابا عمي، المرجع السابق ص 240.

3 - المسجد الكبير: يقع هذا المسجد في الطرف الشرقي بقرية المعانيين وهو عبارة عن بناء مربع الشكل تقريبا طوله حوالي 165 متر وعرضه مثل ذلك، وهو يعد من أقدم المساجد بجيل نفوسة حيث تشير لذلك كتابة على احد أعمدة المسجد (على يمين الداخل من الباب الغربي)، وهي (مائة وسبعة أو مائة وتسعة هجرية)، ينظر الصورة رقم (33).

4 - الشماخي، المصدر السابق، ص 560.

تلاميذه: كما تخرج على يديه مجموعة كبيرة من العلماء منهم: ابنه موسى وحفيده سليمان، وأبو يعقوب يوسف بن مصباح، وأبو زكرياء يحيى بن زكرياء وأيوب الجيطالي، وأبو القاسم ابن إبراهيم البرادي[1] ونوح بن حازم المرساوني وأبو عبد الله محمد التفجاني، وأبو ضياء يسفاو الطرميسي، والشيخ ابن محمد ابن الشيخ، وأبو عمران موسى بن يوسف.

وفاته: وتوفي في مدينة يفرن عام 792هـ/1349م، وقبره في قرية القصير.[2]

كما أن الشيخ أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي: يعد ويرجع نسبه إلى قرية جيطال، لإسهاماته العديدة في مجال العلم والثقافة سواء بالتعليم أو التأليف ونشر العلوم ومحاربة الجهل والفساد، تعلم أولا في مدارس قريته.

شيوخه: ارتحل الجيطالي إلى قرية طرميسة، والتحق بمدرسة الشيخ أبي موسى الطرميسي لإتمام المراحل العليا من التعليم.[3]

جهوده العلمية: وبعد التخرج اخذ يتنقل على عادة علماء الجبل بين المدن والقرى مربيا ومدرسا وواعظا. فأقام فترة من الزمن يدرس بمدرسة أبي زيد المزغورتي بقرية مزغورة ثم انتقل إلى قرية فرسطا وأقام فيها مدة تسع سنوات واسهم في نشر العلوم وتقويم الاعوجاج.[4] ذكر انه يمتاز بذاكرة قوية مكنته من حفظ مجموعة من الكتب منها: كتاب الدعائم، ومقامات الحريري، وكتاب العدل والإنصاف للوراجلاني، وجمل الزجاجي.

رحلاته: ارتحل إلى مدينة طرابلس وهناك تعرض لمحنة السجن، ولم تذكر المصادر

---

1 - أبو القاسم بن إبراهيم البرادي الدمري: كان حيا في سنة : (810هـ/1407م)، ولد بجل دمر في الجنوب التونسي، درس في مسقط رأسه، ثم انتقل جزيرة جربة حيث تلقى العلم فيها على عدة مشائخ منهم: يعيش بن موسى الزواغي، ثم انتقل إلى يفرن بجبل نفوسة وتتلمذ على الشيخ عامر الشماخي، [ويلاحظ هنا اختياره منطقة جبل نفوسة لمواصلة تعليمه بعد دراسته في كلا من :الجنوب التونسي وجزيرة جربة، وهذا يؤكد على أن الدراسة في الجبل وقتذاك كانت على درجة عالية من الازدهار العلمي والثقافي، وإلا لاختار البرادي مكان أخر أو اكتفى بذلك وتفرغ للتدريس]، ثم رجع إلى دمر ومنها إلى جربة . واخذ ينشر ما تعلمه وقام بالتدريس، كما تولى رئاسة حلقة العزابة، وترك البرادي عدة كتب منها: الجواهر المنتقاة، رسالة الحقائق، رسالة في تقييد كتب أصحابنا، البحث الصادق، جواب لبعض أهل الخلاف، شرح الطهارات، وغيرها كمن الكتب. للمزيد انظر: الجعبيري، ملامح عن الحركة العلمية، ص.

2 - قرية القصير: من قرى مدينة يفرن وتقع في أقصى شرقها، وما زالت أثارها قائمة بشكل جيد ومنظم، كما أن أحفاد عائلة الشماخي مازالوا يقيمون في نفس القرية، وقبر الشيخ عامر معروف بهذه القرية بجوار مسجد صغير، على الطريق المؤدية شمالا إلى قريتا تاغمة والقلعة، ينظر الصورة رقم (34).

3 - الشماخي، المصدر السابق، ص 556.

4 - المصدر نفسه، ص 558، والصادق بن مرزوق، أبو طاهر إسماعيل الجيطالي حياته ومآثره، أعمال الملتقى حول تاريخ جزيرة جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، جربة: منشورات جمعية صيانة جزيرة جربة، 1986. ص 50.

التاريخية تفاصيل سجنه ! مثلا تاريخ السجن؟ وما هي الدولة الحاكمة حينها لمدينة طرابلس؟ ومن هو الحاكم الذي سجن في عهده؟ والمدة الزمنية التي قضاها في السجن؟ إلا أن الشماخي يقول: «نزل ومعه عبيد أراد بيعهم بمدينة طرابلس فآل أمره إلى أن قال: هل عندكم من علم فتخرجوه لنا فما زال قاضيها وأميرها يلتمسون عليه الأسباب حتى سجناه... [قام الجيطالي] بمدح ابن مكي صاحب قابس بقصيدة فتشفع فيه عند صاحب طرابلس»[1]. فعلى الأرجح انه سجن في عهد دولة بني ثابت أثناء حكمهم لطرابلس، لأنهم المعاصرون لحكم بني مكي في قابس. ولكن النص لا يوفر معلومات دقيقة بخصوص اسم الحاكم الذي سجنه، وبذلك يكون احد ثلاثة: أما في عهد مؤسس الدولة ثابت بن محمد بن ثابت (ت: 730هـ)، أو في عهد ابنه محمد ابن ثابت، أو في عهد ثابت بن محمد الأخير.

كما يفهم من النص أن الجيطالي كان يشتغل بالتجارة ما بين الجبل ومدينة طرابلس حيث يقوم ببيع الرقيق، ويبدو أن تجار الجبل كانوا يقومون بدور الوسيط في نقل البضائع والتبادل التجاري ما بين بلاد السودان ومدن الساحل.

وبعد إطلاق سراحه سافر إلى جزيرة جربة، وأقام بالمسجد الكبير يدرس وفي نفس المجلس يؤلف.[2]

اعتبر احد الباحثين المعاصرين أن سبب نبوغ الجيطالي هو إقامته في جزيرة جربة.[3] إلا أن الباحث يرى عكس ذلك فالعلامة الجيطالي ظهر نبوغه في جبل نفوسة الذي فيه تعلم ودرس وتنقل بين مدارسه واحتك بالعلماء والمشائخ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فان الجيطالي على ما تذر المصادر فور وصوله إلى جربة وفي المسجد الكبير أقام يدرس ويؤلف الكتب في نفس المجلس، وهذا دليل على انه كان مكتملا علميا وثقافيا. والذي حدث أن مدارس جبل نفوسة كانت سبب تكوينه العلمي ونبوغه، أما جزيرة جربة فقد جنت ثمار الجيطالي اليانعة.

وفاته: توفي رحمه الله عام 750هـ/1350م. في جزيرة جربة ودفن في المقبرة المجاورة للمسجد الكبير بحومة الحشان.[4]

أبو عزيز إبراهيم ابن أبي يحيى الباروني: من مشائخ الفقه بالجبل، ويرجع لأسرة آل بارون العلمية.

1 - الشماخي، المصدر السابق، ص 556.
2 - الصادق بن مرزوق، المرجع السابق، ص 51.
3 - المرجع نفسه، ص 49-50.
4 - مقبرة المسجد الكبير: بحومة الحشان في جزيرة جربة، وتقع غربي المسجد ومحاطة بسور، زرقا عام 2004.

شيوخه: اخذ العلم عن الشيخ أبي موسى عيسى الطرميسي، ثم جلس مكانة بعد موته.[1] وصار معلما وتخرج على يديه تلاميذه.

تلاميذه: تتلمذ على يديه كثيرون منهم: أبو عبد الله محمد الباروني

وفاته: توفي عام 746هـ/1349م.

ومن فقهاء الجبل الشيخ أيوب الجيطالي: وينتسب إلى قرية جيطال. اخذ العلم عن الشيخ إسماعيل الجيطالي وعندما سافر شيخه إلى جزيرة جربة انتقل يتعلم عند الشيخ عامر بن علي الشماخي، وبعد تخرجه أقام في احد المساجد لتعليم الطلاب، وكان يفد إليه الطلبة من كل حدب وصوب، وكان يهتم كثيرا بالطلبة الغرباء، وقد لاحظت في اغلب قرى ومدن الجبل مقابر تنسب للغرباء.[2]

ويعد الشيخ أبو عمران موسى بن عامر بن علي الشماخي: من علماء مدينة يفرن وله نبوغ في الفقه.

شيوخه: تتلمذ على يدي والده الشيخ عامر الشماخي، اشتغل هو الآخر بالتدريس والوعظ، وكان مرجع للناس في حل مشاكلهم، واشتهر بالصلاح والتقوى، واهتم كثيرا بالفقه والفروع. لم يوفق في بداية تعليمه فطاف على مساجد ومشاهد الجبل وهي عادة كانت متبعة وقتذاك لمت يعجز عن التحصيل العلمي. وفاته: توفي عام 807هـ.

ومن الفقهاء الشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى بن عامر الشماخي: وهو حفيد الشيخ عامر الشماخي.

شيوخه: تتلمذ على يديه ويقال انه قرأ عليه ثمانين كتابا.[3] وتولى مكان جده ومرتبته في التعليم وغيره. وفاته» توفي سنة 806هـ بمدينة طرابلس ودفن فيها. والشيخ نوح المرساوني: من المهتمين بالفقه، ينتسب إلى قرية امرساون.[4]

شيوخه: اخذ العلم عن الشيخ والعلامة أبي ساكن عامر الشماخي، قام بمهمة التدريس في الجبل وتخرج على يديه كثيرون كان لهم دور بارز في التدريس والإفتاء

1 - الشماخي، المصدر السابق، ص 554.
2 - المصدر نفسه ، ص 562-563.
3 - نفس المصدر والصفحة.
4 - امرساون: من القرى القديمة في جبل نفوسة، وتقع إحدى سفوحه بنهاية وادي أمسين، يحدها من الشرق غابات الزيتون (خربة مقتل عبد الله)، ومن الغرب غابة زيتون، ومن الشمال وادي أمسين، ومن الجنوب منطقة الظاهر،وهي عبارة عن خرائب وأطلال دارسة، كم يوجد بها عددا من الغيران التي كانت تتخذ للسكن، وبها عدد من صهاريج المياه، ثم انتقلت في فترة لاحقة إلى حافة الجبل، زرتها عام 2005.

والإرشاد، وقد ألف الشيخ عامر رسالة متن الديانات تلبية لطلب تلميذه نوح[1]

وفاته: توفي في 12 رمضان عام 806هـ/ م، ويوجد بقرية امرساون مسجد ما زال يحمل اسمه.[2]

ويعد الشيخ أبو زكرياء يحيى بن أبي العز الشماخي: من الذين انشغلوا بالفقه بجبل نفوسة، وهو سليل أسرة الشماخي العلمية، من سكان قرية تيغرمين. وشرح الدعائم في سفرين، وتبع طريقة الوصاف، وحذف أكثر الشواهد. كما يشير الشماخي إلى اهتمام أبو زكريا الكبير بنسخ الكتب وله الفضل في نسخه لكتب عديدة، إلى درجة لا تخلو مكتبة من مكتبات جبل نفوسة إلا وفيها كتاب من نسخ يده وبخطه.[3]

شيوخه: اخذ العلم عن الشيخين أبي موسى عيسى الطرميسي، وأبي عزيز بن إبراهيم الباروني، وبعد تخرجه من مدرسة شيخه الطرميسي أقام فيها لمدة يعلم الطلاب.[4] كما أن الشيخ أبو يحيى زكرياء بن عيسى الابدلاني: وهو ينتسب إلى قرية أبديلان، تعلم على شيوخ زمانه ويعد من علماء وفقهاء جبل نفوسة.

1 - معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 440.

2 - مسجد نوح بن حازم المرساوني: مسجد يقع علة قمة الجبل، ويطل على وادي أمسين، قام الأهالي بصيانته وترميمه، وأضافوا إليه بناء لتوسعيه، زرته عام 2005.

3 - الشماخي، المصدر السابق، ص 553.

4 - الشماخي، المصدر السابق، ص 553.

2) علم التفسير:

اقترن التفسير في عصر النبي صلى الله عليه وسلم الوحي، فقد كان جبريل ينزل الآيات على النبي ومعها تفسيرها، وهذا يدلنا على أن الرسول لم يكن يفسر القرآن برأيه، فقد روى الاوزاعي عن حسان بن عطية قال: «كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك».[1] وقد نهى الرسول عن التفسير بالهوى أو بغير علم، حيث قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار».[2] وندرك من خلال هذه التحذيرات النبوية مدى خطورة التفسير بغير علم وتمكن في اللغة والدين. وهذا العلم يختص بتفسير وتوضيح معاني القرآن الكريم وفق ضوابط وشروط معينة، وينقسم هذا العلم إلى قسمين: الأول تفسير تقلي ويستند في ذلك على الآثار المنقولة عن السلف من الصحابة والتابعين، والثاني: تفسير عقلي، وكثير من الصحابة اتبعوا هذا الأسلوب في التفسير كابن عباس وابن مسعود.[3]

وهذا النوع الأخير الذي اهتم به علماء الجبل في تفسيرهم لكتاب الله العزيز، كما اعتنوا في نفس الوقت بالتفسير النقلي، ومن علماء الجبل الذين اهتموا بهذا الجانب من العلوم، الشيخ أبو المنيب مامد بن يأنس الدكلي: وينتسب إلى قرية دركل، ينسبه البغطوري إلى تملوشايت.

شيوخه: وهو من الطلاب الأوائل الذين درسوا على حملة العلم فدرس على يد الشيخ إسماعيل بن درار الغدامسي، كما درس على الشيخ عاصم السدراتي، وأفنى حياته في سبيل العلم كما يشير الشماخي: «قيل قسم عمره بين طلب العلم والزيارة، والحج وقراءة العلم».[4] ويبدو انه اهتم بدراسة تفسير القرآن الكريم ونفهم ذلك من خلال تكفله بعلم التفسير عندما اختاره مشائخ الجبل ضمن الوفد العلمي المتوجه إلى تيهرت لمحاورة ومناظرة علماء المعتزلة.[5]

وتشير المصادر التاريخية إلى كثرة عبادة الشيخ أبي المنيب واهتمامه بالصلاة حيث كان له سبعة مساجد يدوام على الصلاة فيها بالرغم منت تقدمه في السن.[6] تلاميذه: ومن ابرز الذين تخرجوا على يديه: الشيخ أبو خليل صال الدركلي وبعد حياة طويلة

1 - تفسير القرطبي، ج1، ص 39.

2 - الترمذي، سنن الترمذي، ج11، القاهرة: مطبعة الصاري، ص 67.

3 - احمد أمين، فجر الإسلام، بيروت: دار الكتاب العربي، ص 200.

4 - الشماخي، المصدر السابق، ص 169.

5 - الشماخي، المصدر السابق، ص 155.

6 - الوسياني، المصدر السابق، ورقة 180

حافلة بالكفاح والعطاء العلمي والثقافي. توفي الشيخ أبو المنيب الدركلي ما بين: (200-250هـ/814-864م).

ومن طرق تعليم هذا الفرع من العلوم هي طريقة الإملاء، وأشار البغطوري لذلك قائلا: «روى انه [أبو هارون الجلالي] وقف عليه يوما وهو يملي على أبي الحسن الكباوي فكلما وقف لأبي محمد حرف في التفسير يطأطئ عليه أبو علي حتى يعرفه فيكتبه».[1]

1 - البغطوري، المصدري السابق، ورقة 37.

3) أصول الدين:

فن من فنون يعني بمجموعة من القضايا الدينية، اهتم علماء الجبل بمعالجتها وتمخض محيطهم بإنتاج وافر، ونلمس يوضح انه كان على مستوى من النضج والقدرة على الاستيعاب، وطرحه في منطق متكامل، ومن أشهر العلماء الذين نبغوا في هذا المجال العلمي: أبو هارون موسى بن يونس الجلالي: ق: (3 هـ/9 م)، ينتسب إلى قرية جليمت،[1] لم تذكر المصادر تاريخ ولادته وإنما كان حيا بعد عام 283هـ/896م. شيوخه: تتفق المصادر التاريخية على أن تعليمه كان على الشيخ أبي القاسم البغطوري.[2] ويبدو إنها كانت المرحلة العليا من تعليمه ونفهم ذلك من نص للشماخي الذي يقول: « يعمل شغله إلى ربعه إلى العشية، فيمضي إلى الشيخ أبي القاسم يتعلم ثم يدرس ثم يرجع مصبحا شغله وذلك دأبه».[3] فمن خلال هذا البرنامج ندرك انه كبير في السن (شغله نهارا، وتعليمه ليلا)، وان أبا هارون تعلم عند أبي القاسم مدة ثلاثين عاما درس خلالها الأصول والمناظرة والحجة،[4] وهذه المواد تدرس في المرحلة العليا كما هو معروف وقتذاك، وقيل عنه: اشتغل بعلم الأصول فتلعق إليه فروع الفقه. وعندما أنهى تعليمه ورأى في نفسه المقدرة على تعليم الآخرين افتتح مدرسة بقريته جليمت، وانفق على طلابها من ماله الخاص.

تلاميذه: وتخرج على يديه العديد من العلماء منهم: أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي، و أبو يحيى زكرياء بن يونس الفرسطائي، وأبو حسان عامر السدراتي.

وكان العلماء يشيدون بالجلالي، وبغزارة علمه وكانوا يشبهونه بابي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.[5] وتملأ آراؤه وفتواه وأقواله الكتب، فلا تخلو منها كتب الفقه والأصول وعلم الكلام،[6] كما كان يقصده الناس للسؤال عن المشكلات الفقهية والعلمية التي لها علاقة بحياتهم، فيقدم لهم الإجابات المرضية والمقنعة في نفس الوقت حتى قال له احدهم: « إن العالم مثل الحوض من جاءه استقاه».[7]

1 - جليمت: قرية قديمة تقع على قمة جبل علة وتشرف على وادي إكراين، تبعد عن مدينة كباو حوالي 10 كلم، وفي أعلى قمة الجبل يوجد بناء اثري مربع الشكل، والصاعد إليها يجد صعوبة ومشقة، زرتها عام 2004.

2 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 30؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 278.

3 - المصدر نفسه، ص 278.

4 - نفس المصدر والصفحة.

5 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 50

6 - علي يحيى معمر، المرجع السابق، ص 162.

7 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 31؛ والصواب: اتقى.

رحلاته: كان أبو هارون الجلالي من علماء الجبل الذين اهتموا بالرحلة خارج الجبل من اجل طلب العلم والاشتغال بالتجارة، وخاصة مع بلاد السودان الغربي، وأكثر تجارته مع تادمكة،[1] وعاش إلى ما بعد سنة 283هـ/896م أي بعد معركة مانو.

ولكل فترة تاريخية ظروفها التي تؤثر في العطاء والاهتمام بهذا العلم، أو التراجع وقلة الإنتاج، وهذا ما حدث في فترة اكتساح ابن غانية الميورقي لمنطقة بلاد الجريد وجبل نفوسة مما جعل اغلب علماء الجبل يهتمون بالسير ويبتعدون عن الأصول، فنرى أبو نصر بن نوح الملوشائي من علماء القرن السابع الهجري، شاكيا من تفريط الناس في هذا العلم بقصيدته النونية[2]: (طويل).

سلام على الإخوان في كل موطن *** بنجد وخيف والسهولة والحزن

ساهدي إليكم من كلامي قصيدة *** أقدمـها للنفس يوم التـغابـن

تنبهكم عن بعض ما لم يسعكم *** فما حكتها بوصف جام ولا دن

أروم بها إحياء علـم عقائـد *** درسن فلم يحفل بها كل معتن

ألا بدلوا قافا بعين وصادهـا *** بقاف وصونها من الصحف واللحن

نظرت إلى قرائنا فوجدتهـم *** بفقه المعاش موليعين بألسن

تناسوا أصول الدين من اجلا*** لإنها صعاب وما فيها ثمار لمن يجن

فأحببت تجديد العهود لنظم ما *** تناثر من تلك العقود بأمتن

فأول علم يلزم العبد فرضه *** على الفور توحيد الإله المهيمن

وهذه النونية وضعها أبو نصر الملوشائي في اثنين وثمانين ومائة بيت، جمع فيها أصول الدين، فذاع صيتها وانتشرت في مختلف بيئات الإباضية، واهتموا بحفظها وإنشادها في المناسبات. «وقام الشيخ إسماعيل الجيطالي ق: <8هـ/14م) بشرحها في مجلدين، نهج فيهما منهجا تحليليا استدلاليا لا يخلو من نزعة دفاعية»[3] وكذلك من علماء الجبل في مجال أصول الدين الشيخ أبو هارون الجلالي.

---

1 - المصدر نفسه، ورقة 30.

2 - أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، ديوان أبو نصر الملوشائي، ص 1.

3 -فرحات الجعبيري، العقيدة عند الإباضية، ص 122-123.

4) علم الكلام:

«وهو يتضمن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة»،[1] واهتم علماء الجبل بهذا الفرع من العلوم دراسة وبحثا وتأليفا، واستعمل في إثبات العقائد، ولوحظ أن اغلب افرق الإسلامية لها علماء متخصصون في هذا الجانب يعرفون بالمتكلمين يدافعون عن أفكار الفرقة ويعلمون على دحض أفكار المخالفين لهم فكانت تقام المناظرات العلمية بين أولئك المتكلمين في المساجد والمدارس وقصور الخلفاء.[2]

ويعد الشيخ مهدي الويغوي (ت 196هـ/812م) -ينتسب إلى قرية ويغو- من ابرز علماء الكلام بجبل نفوسة، ومن الذين برزوا في فترة مبكرة ويبدو انه كان متمكنا في هذا الجانب، وله قدرة قوية في المحاجة والبرهان، والاستدلال، ويتبين لنا ذلك أثناء حضوره المناظرة العلمية مع المعتزلة بتاهرت، فيقول الشماخي انه: غاب يوما عن أصحابه، وعند عودته سألوه عن سبب غيابه، فقال لهم: أفحمت تسعين عالما من المخالفين.[3] ويبدو انه استفاد كثيرا من التعلم على مشائخه الكبار وهم (حملة العلم الخمسة) الذين ذكرناهم سابقا، وكان يشغل بالزراعة شان اغلب علماء الجبل وذلك لكون مجتمع الجبل زراعيا.

وفاته: توفي الشيخ مهدي سنة (196هـ/812م)أثناء حصار الإمام عبد الوهاب الرستمي لمدينة طرابلس،[4] لم نعثر على أسماء من تتلمذوا على الشيخ المهدي.

ومن الذين نبغوا أيضا في علم الكلام بالمنطقة الشيخ فرج بن نصر المعروف بنفاث، ق: (2هـ/8م)، ويرى الشيخ سليمان الباروني انه يرجع إلى قرية نفاثة[5] درس بتاهرت على الإمام عبد الوهاب الرستمي[6] وكان له باع طويل في العلم، وكانت به آراوه الكلامية والفقهية التي خالف بها علماء عصره بالجبل ومنها:

1. قوله: إن الله هو الدهر الدائم
2. إنكار الخطبة في الجمعة.

---

1 - ابن خلدون، المقدمة، ص 423.

2 - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص 335.

3 - الشماخي، المصدر السابق، ص 156.

4 - الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 26.

5 - سليمان الباروني، المرجع السابق، ص 196.

6 - الدرجيني، المصدر السابق، ص 78.

3. إنكاره استعمال لإمام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطالب بيت مال المسلمين.

4. قوله: إن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ للأب.

5. قوله: إن المضطر بالجوع لا يمصي بيع ماله إذا باعه لأجل ذلك وعلى من شهد مضرته تنجيته.

6. قوله: إن الفقد لا يتحقق إلا فيمن تجاوز البحر.[1]

ويبدو لي أن الشيخ أبو نصر التمصمصي، ق: (2هـ/8م)، عالم من علماء الكلام -وسوف أبين ذلك لاحقا- وأبو نصر ينتسب من خلال لقبه إلى قرية تمصمص المشهورة بالعلم والمشائخ، إلا أن المؤرخ عبد السلام الوسياني، في سيرة ينسبه إلى قرية أخرى وهي: (تين ضج).[2] ويعد أبو نصر من العلماء الأولين بالجبل فقد اخذ علومه عن: الشيخ عاصم السدراتي احد حملة العلم الخمسة، وتصنيفنا للشيخ أبو تصر من ضمن المهتمين بـ(علم الكلام)، لاشتعاله الطويل والمستمر بالتصدي لأفكار الشيخ والعالم نفاث بن نصر الذي خرج على طاعة الرستميين وكون فرقة وإتباع لهم آراوهم الفقهية والكلامية، وكذلك كان للشيخ أبو نصر ردود على أفكار خلف بن السمح الذي ثار هو الآخر -في جبل نفوسة بمدينة يفرن- على الدولة الرستمية، ولما كانت هذه الأفكار (النفاثية، والخلفية) تسبب قلاقل وعدم استقرار (سياسي، اجتماعي، فكري) بولاية جبل نفوسة، توجب على علماء الجبل الموالين للدولة الرستمية وخاصة المتمكنين -حسب ما أرى- كلاميا وجدليا وفقهيا، أن يكونوا في الصدارة لمحاربة هذه الأفكار والتصدي لها، وهذا ما قام به الشيخ أبو نصر التمصمصي.

كما لا نستبعد أن يكون الشيخ أبو المنيب مامد الدركلي متمكنا من علم الكلام وندرك ذلك من حواره البسيط مع زميله مهدي الويغوي أثناء بدء المناظرة مع المعتزلة حيث طلب المهدي من أبي المنيب أن يناظر خصمه في علم الكلام، فقال له أبو المنيب: بل ناظره أنت ولست بأعلم مني.[3] ويبدو أن علماء ذلك الزمان لم يقتصروا على تخصص بعينه وإنما طبيعة العصر العلمية يقتضي بان يكون العالم على صلة بأكثر من فرع من فروع العلم ومن ناحية أخرى كانت العلوم حينها في طور تأسيسها وما زالت لم

1 - سليمان الباروني، المرجع السابق، ص 195-196.

2 - الوسياني، المصدر السابق

3 - المصدر نفسه، ص 157.

تستقل بذاتها. فهذا الشيخ أبي المنيب الدركلي تحدثنا عنه كأحد المفسرين للقران الكريم بالجبل، وهو الآن ضمن علماء الكلام.

أيضا هناك عالم آخر جهبذ من جهابذة الإسلام في هذا المجال بجبل نفوسة وهو يعد موسوعة متنقلة، إلا وهو الشيخ العلامة المتكلم أبو حفص عمروس بن فتح المساكني، ذكرناه سابقا كفقيه وهو أيضا له إسهام بالغ في علم الكلام ومن مؤلفاته في هذا الصدد: (كتاب أصول الدينوية الصافية)، المعروف بـ (العمروسي) في الأصول، وسبب تأليفه أن احد علماء فزان[1] في علم الكلام وهو مؤلف لكتابين في الأصول، طلب منه أن يؤلف كتابا في الأصول، وبالفعل قام عمروس تلبية طلب العالم الفزاني فكان (كتاب العمروسي) الذي قراه العالم الفزاني فقال: «النفوسي أقوى من الفزاني».[2] وهذا اعتراف صريح من عالم كتخصص يشهد للعلامة عمروس بالقوة العلمية والكفاءة في التأليف في هذا المجال، وهو صاحب كتابين معروفين في أصول الكلام، وهذا الاتصال العلمي يشير إلى وجود صلات وثيقة بين أهالي جبل نفوسة وبين منطقة فزان، تربط المنطقتين بروابط علمية وثقافية.[3] وهذا الأمر يؤيد السياق التاريخي للأحداث ففي ذلك العصر امتد نفوذ الدولة الرستمية واتسع ما بين تاهرت غربا إلى سرت شرقا كما سيطرت على المدن والواحات الداخلية.

ويورد البغطوري في سيره نصا يفيد محاورة في علم الكلام دارت بين شخصيات علمية، وشاركت فيه امرأة في مجلس علم بقرية تلات: فقد آثار أبا حسان بن أبي عامر مسالة كلامية وهي: أن لله يد وأشار ليده، ولله أذن وكذلك أشار لأذنه، ولله لحية ولحيته هذه، فرد عليه الشيخ أبو عيسى الدرفي والتلاميذ: تب لربك من هذا الكلام، إلا انه أصر على موقفه ! وكانت حاضرة في ذلك المجلس امرأة جالسة خلف ستار،[4] فأيدت رأى أبا حسان، ومن الحاضرين أيضا الشيخ أبو يحيى الفرسطائي وكان ملازما للصمت ! ، حتى قال له أبو عيسى تكلم، وهنالك قال الشيخ أبو يحيى: تب لربك يا أبا حسان، فعندها تراجع أبا حسان عن رأيه وتاب. من خلال هذا النص ولو كان مقتضبا دون توسع إلا إننا

1 - العالم الفزاني،هو الشيخ عبد الخالق الفزاني احد علماء الإباضية بفزان وخاصة في علم الكلام. جناو بن فتي وعبد القهار بن خلف، أجوبة علماء فزان، تحقيق: عمرو خليفة النامي وإبراهيم محمد طلاي، قسطيلية: دار البعث، (د.ت)، ص 20؛ البغطوري، المصدر السابق، ورقة 133.

2 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 133.

3 - جناو بن فتي وعبد القهار بن خلف، المصدر السابق ، ص 17.

4 - يبدو أنهم مجموعة نسوة كانوا يشاركون في المجالس العلمية على عادة مجالس الجبل إلا أن المتحدثة هي التي ذكرها البغطوري ولم يورد لنا اسمها.

ندرك بعض المسائل الكلامية المثارة حينذاك. كما نستخلص منه مشاركة النساء في الحوارات والمناقشات العلمية.

ومن العلماء الذين اشتغلوا بعلم الكلام الشيخ داود بن هارون أبو زكرياء الباروني ق: (5هـ/11م)، سليل أسرة الباروني العلمية في جبل نفوسة. ينتسب إلى قرية آت بارون.[1] شيوخه: اخذ العلم عن أبي زكرياء يحيى بن الخير الجناوني، وكذلك عن الشيخ عبد الله بن مطكود. ويبدو انه اهتم كثيرا بعلم الكلام قال عنه البغطوري: «قال بعض المغاربة سرت في البلاد شرقا وغربا فلم أر مثل داود بن هارون»[2] أما المؤرخ الشماخي فقال: «وانه في أيامه تضرب إليه أكباد الإبل في إيضاح كل مشاكل وتفسير كل غريب وجواب كل سؤال وشهرته في التقي والورع في بلاد نفوسة بل في جميع المغرب أشهر من أن تخفى».[3]

تلاميذه: وأنشأ حلقة علم تخرج منها العديد من الطلاب منهم: أبو محمد عبد الله بن محمد بن مطكود حفيد شيخه، وعيسى بن احمد، وأبو يوسف وجدليش الاملي، وللشيخ داود الباروني بعض المؤلفات منها: كتاب المسائل وأجوبة إلى الأمير أبي منصور الباروني. كما يعد الشيخ أبو نصر الملوشائي ق (7هـ/13م) من المشتغلين بعلم الكلام، وله إسهامات بارزة في هذا المجال فألف النونية في خلق القرآن والقصيدة البائية في الأخلاق، وديوان شعر في العقيدة والأخلاق.

1 - قرية آت بارون تقع في وادي إكراين احد الوديان الكبيرة بمدينة كباو، واغلب آثار القرية قد أتدثر ما عدا مسجد الشيخ أبي الربيع ما زال قائما وبحالة جيدة، زرت القرية في عام 2004م.

2 - البغطوري، المصدر السابق.

3 - الشماخي، المصدر السابق، ص 537.

5) العلوم اللغوية والآداب:

وهذه العلوم جاءت أهميتها لدراسة العلوم الدينية والشرعية وهي متنوعة منها: اللغة، والنحو، والإعراب، والبيان، والأدب بقسميه: (الشعر والنثر).

وكان علماء ومشائخ الجبل يحفزون طلابهم لدراسة اللغة العربية، ومن أقوالهم المأثورة: «من تعلم حرفا من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفروع، وتعلم مسالة من الفروع كعبادة ستين سنة».[1] وكان أبو عبيدة الأعرج من علماء القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي عالما بالعربية يدرس لطلابه كتاب إصلاح اللغة لعبد الله بن مسلم بن قتيبة.[2]

ومن الذين اهتموا بالجانب الأدبي وبخاصة في الشعر بالجبل الشاعرة: مترو بنت أبي عثمان الدرجي المزاتي،[3] ق: (3هـ/9م)، ترجع إلى قرية دجي[4] من قرى جبل نفوسة، وكانت امرأة زاهدة، وعابدة، وورعة هكذا عرفت بين أهلها وذويها، إلى درجة إنها تمنت أن تتزوج زوجا فاجرا لتتحمل أخلاقه السيئة وتصبر عليه لكي تؤجر وتفوز بالجنة، وبالفعل كان لها ما تمنت من الزواج القاسي[5] وكانت معاصرة للشيخ أبي زكريا يحيى بن يونس السدراتي، إذ قالت له لما زارها: «أزلت عيني الوحشة وعلمتني العلم».[6] كما إنها أنشدت له بيتا من الشعر بالأمازيغية معناه: لا احد يزور في الله احد، فيذهب غم النفوس، ويزيل الوحشة. إذن كانت مترو من الشاعرات باللغة الأمازيغية واحتفظ لنا الوسياني بعضا منه ويدور حول يوم لقيامة والميعاد والحساب والقبر والموت وفي الوعظ والإرشاد. وبذلك يكون شعرها من جنس شعر أبو العتاهية في الزهد والابتعاد عن زخارف الدنيا.

ومن الذين كان لهم اهتمام بالشعر، الشاعرة» زيديت بنت عبد الله الملوشائية ق:(3هـ/9م)، كانت من نساء الجبل المشهورات بالورع والصلاح، وكان اغلب قصائدها

1 - الوسياني، المصدر السابق، ورقة 95

2 - سليمان الباروني، المصدر السابق، ج2، ص 244.

3 - الشيخ أبي عثمان الدجي المزاتي: من ابرز شخصيات قرية دجي: اهتمت اغلب كتب السير بدر اخباره ويبدو انه كان من الأغنياء، رأيت مسجد بدجي مازال قائما ينسب إليه زرته عام 2004م.

4 - دجي : قرية من قرى جبل نفوسة القديمة/ مبانيها محفورة بطريقة عجيبة في الجبال الطينية، وقصرها مبني فوق صخرة كبيرة وعالية، وللأسف لم اعثر على معلومات تفيد المكان الذي هاجر إليه أهالي دجي الأصليين، واخبرني بعض أهالي البدرانة، أن السكان هاجروا إلى جزيرة جربة بتونس، كما أفادوني بان البدرانة قد سكنوا في محلهم وبيوتهم (لم يتم تحديد الزمن بدقة) إلا أنهم كانوا فيها حتى أواخر الستينات من القرن الماضي. زرتها عام 2004م.

5 - الشماخي، المصدر السابق، ص .

6 - الشماخي، المصدر السابق.

بالأمازيغية، وهي في أغراض النصح والإرشاد، وكثيرا ما كانت تنصح النساء اللاتي يجتمعن لعمل الصوف من غزل ونسج، وتقول لهن بدل أن تغنين عليكم بذكر الله والاستغفار، وكل ذلك بقصائد شعرية فيها: ذكر لفظاعة الموت، وعذاب القبر، وأهوال الميعاد ويوم القيامة من حساب وسؤال.

وكذلك من العلماء الذين اشتهروا في الآداب، وبالذات في الشعر، الشيخ الشاعر أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، ق: (7هـ/13م)، وقد لاحظت أن اغلب مؤلفاته جاءت على هيئة قصائد شعرية، منها متن النونية في التوحيد وأصول الدين:

ويمكن أن نقتبس بعضا من أبياتها:

فأول علم يلزم العبد فرضه *** على الفور توحيد الإله المهيمن

فان أدرك التوحيد درج غيرهو *** إلا فما أحراه شبها بذي الوثن

فقل ونبئني لمن أنت عامل *** ما كنت تدعوا يا أخا الجهل من من

أقول بان الله حق حقيقة *** وقد كان لا كينونة من مكون

كما كان قبل الخلق قد كان بعده *** وقد سبق الأوقات كونا بلا كون

****

بكل مكان كان لا كون جوهر *** ولا كون حلال تعالى عن الكن

وليس ككون الشيء في الشيء والجا *** ولكنه بالعلم والحفظ والصون

تقدس عن حد وشبه وصورة *** وجل عن التكييف والحيث والابن

****

دنا ونئا معنى يرانا ولا يرى *** فما ذاته تحوي بعين ولا أذن

فكل الذي أضحى على البال سانحا *** فذلك غير الله فانف عن الذهن

على العرش والخلق استوى فإستوآءه *** بنقص وإبرام وإتقان متقن

****

وليس كمعقول إستواء أميرهم *** على سرر معهودة للتمكن

له المثل الأعلى وليس كمثله *** مثال ولا شيء يشابه في الكون

فهذا اعتقادي في الهي وخالقي *** مماتي ومحياي بإيمان موقن[1]

كما ألف منظومة الرائية في الصلاة وأحكامها، وكانت غاية في الروعة والإتقان ونقتبس منها:

فما كل من صلى يقال مصليا *** فشتان بين الاسم والفعل فانظر

صلاة إمريء بغير طهارة *** كمن لم يصل البت فافهم وطهر

إملاك الصلاة في الطهارة والنقا *** لباس وابدان وأمكنة طهر

وقد شرع الله الوضوء تعبدا *** وسن رسول الله باقي التطهر

وأما الأذان والإقامة سنة *** مرادهما الإعلام للوقت بالحصر

وليس على الغداة من ذاك ملزم *** وليس عليهم الإمامة في المصر

وقد وسع الله المواقيت منة *** وفضلا ولم يحصر مداها على الفور

****

فكل صلاة وقتها حاصل لها *** وشدد في ذا قائلوه على إصر

وأفرط ما قد قيل فيها اشتراكها *** نهارا وليلا فطرح ذا على حجر

وأوسطها فالظهر والعصر شركة *** كذاك صلاة الليل وقت لها يسر

****

وأما صلاة الصبح فالشمس حدها *** فان طلعت حقت عليه عرى الكفر

ومن كان صلى قبل وقت فانه *** يعيد ولو صلة بألف على طهر

كذاك الفروض الأزمات لوقتها *** على الأصل لا تجزيك قبل التحضر

ومن نام عنها أو تناسى فوقتها *** إذا قام والنسيان ينسخ بالذكر[2]

****

1 - أبو نصر فتح التملوشايتي، ديوان الشيخ أبو نصر التملوشايتي ، طبعة حجرية، القاهرة: المطبعة البارونية، 1304هـ، ص 1-2.

2 - أبو نصر فتح التملوشايتي، المصدر السابق ص 207.

وألف الحائية وغرضها تحريض طلبة العلم، قال فيها:

دعاكم الله لدار السلام *** قولوا ألا لبيك داع الفلاح

فالله ثم الله في عزمكم *** ما دامت الارسان طلقا فساح

جدوا فان الأمر جد بكم *** والجد معوان الفهوم لقاح

****

لا يستوي من جد عزما كمن *** قيده العجز عن الاكتداح

العلم زين والتقى شرف *** والورع والصدق تمام الصلاح

وأم دفر كلها ظلم *** والعلم فيها كتبا شير الصباح

من ضيع التعليم في وقته *** فاخر الصاد يرى كل صاح

من أدمن الدرس ونادمه *** بشراه بالعلم على الامتياح

من لم يعود نفسه دائما *** قراءة الكتب كليل السواح

****

من حالف النوم ولازمه *** فآية الكهف له في اتضاح

من فارق الإبريق في نسكه *** جاحت عليه الصلوات وجاح

والعمل المقبول لله لا *** لعله أوجر نفع رقاح

****

لا ينفع العلم بلا عمل *** ولا أجم القرن عند النطاح

وشجر الدفلا ذميم الجنا *** شبها لذي العلم العقيم المصاح

من صاحب الدنيا بغير التقا *** فهم غثآء وجفاء كساح.[1]

ومنظومة الدالية، والمسماة رسالة المسترشد وكفاية المستنشد في الوعظ والإرشاد، ومتن النونية في خلق القرآن الكريم، ومتن البائية في الأخلاق، وديوان شعر في العقيد والأخلاق، وله مرثية في خاله الشيخ أبو يحيى زكريا بن إبراهيم الباروني، ومطلعها: قام الخطيب يبكي الناس.

1 - أبو نصر فتح التملوشايتي، المصدر السابق، ص 19.

ب) العلوم العقلية:

1) علم المنطق (الجدل):

« وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحداد المعروفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات»،[1] وكذلك معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، وبرع فيه مجموعة علماء من أشهرهم: الشيخ مهدي الويغوي النفوسي، ق: (3هـ/9م)، وينتسب إلى قرية ويغو، وهو غير الشيخ المهدي الويغوي المذكور أنفا من ضمن علماء ق: (2هـ/8م)، كما يشير إلى ذلك الشماخي قائلا: ى»ومنهم مهدي المتكلم الويغوي، وليس هو بالمهدي صاحب الإمام... بل هو آخر في القرن الثالث»[2] واثني عليه الدرجيني قائلا:» ومهم مهدي النفوسي هو المقوم في علم الجدال، الذي له اليد العليا في البرهان الاستدلال، وهو المحتج على أماكن الممكن واستحالة المحال».[3]

وترك الشيخ المهدي تأليفا في علم المنطق والجدل كتبه باللغة الأمازيغية[4] ، ولم يكتبه بالعربية ربما لان اغلب الأهالي وخاصة الطلاب في تلك الفترات المبكرة من التاريخ الإسلامي ما زالوا حديثو عهد باللغة العربية، وسبب تأليفه لهذا الكتاب محاربة الأفكار والقضايا الكلامية التي كان يتبناها احد علماء الجبل ممن عارض الدولة الرستمية حينذاك وهو الشيخ فرج بن نصر الملقب (بنفاث)، وبذلك يمكن أن يعد هذا الكتاب من أقدم مؤلفات الجبل الإسلامية.

2) علم النجوم:

« وهو معرفة الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة.»[5] وهو جانب من جوانب المعرفة التي اهتم بها بعض علماء الجبل. ومن هذا العلم نشأ (علم الفلك)، واهتم العلماء المسلمون بدراسة النجوم في مساراتها، وتحديد مواقعها وسرعة حركتها، وقد اختلط بالتنجيم أو (النجامة). وعلم الفلك استقام أمره وهو من العلوم الاستقرائية الرياضية له قواعده وأسسه باعتماده على الملاحظة ويستند على الأرصاد لتعليل حركة النجوم وتفسير الظواهر الفلكية.[6]

1 - ابن خلدون، المقدمة ، ص 451.
2 - الشماخي، المصدر السابق، ص 328.
3 - الدرجيني، المصدر السابق، ص 313-314.
4 - نفس المصدر والصفحة، لم أقف على هذا الأثر العلمي بعد.
5 - ابن خلدون، المقدمة، ص 478.
6 - توفيق الطويل، المرجع السابق، ص 52.

ومن أشهر علماء الجبل الذين تخصصوا في هذا المجال العلمي أبو أيوب التمنكرتي، المنتسب لقرية تمنكرت ويبدو انه كان متعمقا بشكل كبير في هذا المال إلى درجة أن قال : «عرفت ما كان في السماء كما عرفت ما كان في الأرض».[1] وكذلك الشيخ أبو يحيى يوسف بن زيد بن افصيت الدرفي وهو من علماء القرن: (4هـ/10م): نسبة إلى قرية إدرف. جعله أصحاب المعجم من أعلام القرن الخامس الهجري إلا انه عاش قسما من حياته في أواخر القرن الرابع الهجري، تتلمذ على يد والده الشيخ أبي محمد الدرفي كما تعلم عند الشيخ أبي محمد الكباوي، وكان متخصصا في علم النجوم.[2] ومن هنا نفهم أن علم النجوم كان معروفا لدى طلاب وعلماء جبل نفوسة وأسهموا فيه ببراعة. وكان أبو يحيى الدرفي يقول عن نفسه: «أخذت العلم بالقصعة وفرقته بالأقداح».[3] ويشير إلى الفروق الفردية بينه وبين الطلاب الآخرين في التحصيل العلمي بكثرة فهمه وقلة فهم غيره. وقام بمهام التدريس ومن تلاميذه: أبو الخير توزين الجناوني، وأبو يوسف وجدليش بن في، وأبو يوسف يعقوب بن سيلوس الطرفي السدراتي.

3) علم التاريخ والسير:

وهو من العلوم العقلية التي اهتمت بها مختلف الأمم والشعوب: «وهو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول.... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق».[4] وبالتالي فنلاحظ أن علماء الجبل كانوا يهتمون كثيرا بهذا الجانب من المعرفة لما له من علاقة بتراجم الإعلام البارزين وسيرهم، وكذلك من الدوافع للكتابة في التاريخ توفر المادة التاريخية والقصص التاريخي في القرآن ما دفع بمفسري القرآن إلى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه، ومع مرور الزمن صار الاهتمام بالمادة التاريخية احد فروع المعرفة التي تمت بارتباط بالقران[5] فألفوا فيه عدة مصنفات تهتم بالروايات والأحداث التاريخية المختلفة دينيا واجتماعيا واقتصاديا المتعلقة بمنطقة جبل نفوسة وغيرها من المناطق المحيطة به. واعتمد كتاب التاريخ والسير على عدد كبير من الرواة من أشهرهم: أبو خليل صال الدركلي، وأبو صالح ياسين الدركلي، ونفاث بن نصر النفوسي، وأبو ميمون الجيطالي، وأبو محمد عبد

1 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 119.
2 - المصدر نفسه، ص 286-287.
3 - المصدر نفسه، ص 286-287.
4 - ابن خلدون، المقدمة، ص 10.
5 - فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح احمد العلي، مراجعة، محمد توفيق حسين، بغداد: مكتبة المثنى، 1963، ص 41.

الله الجدولي، وأبو عثمان سعيد بن سليمان الفساطوي، وأبو زكرياء يحيى بن وجدليش، وصالح المزغورتي،[1] وغيرهم كثيرين.

ومن أشهر المؤرخين: الشيخ أبو محمد عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن مطكود اخذ العلم عن الشيخ داود بن هارون الباروني وكانت له شهرة علمية حتى قال فيه &ضبعض معاصريه:»سرت البلاد غربها وشرقها فلم أر مثل داود بن هارون وهذا الشيخ يعني: أبا محمد وكل ما وجدت رواية وسيرة في أخبار مشايخ نفوسة وعلمائها فالأكثر من ذلك هو راوية وكان إماما تعلم منه بشر كثير وله فضائل ومواعظ».[2] يتضح من هذا النص أن الشيخ أبا محمد يعد من الرواة للأخبار ومن المهتمين بالتاريخ وسير الإعلام.

أبو يحيى توفيق بن يحيى الجناوني: نسبة إلى قرية اجناون، اخذ مبادئ العلوم على مشايخ قريته، ثم تنقل بين عدد من مدارس الجبل لطلب العلم. وبعد تخرجه اشتغل بالتدريس. ومن ابرز تلاميذه: مقر ين محمد البغطوري، وإبراهيم بن أبي يحيى أبي عزيز. ومن مؤلفاته في التاريخ والسير: (كتاب التقييدات)، صنف فيه أعلام الجبل البارزين بحسب الترتيب الزمني.

والمؤرخ مقر بن محمد البغطوري نسبة إلى قرية بغطورة. عاش في القرن السادس الهجري درس على الشيخ: توفيق بن يحيى الجناوني، وأبو محمد عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن مطكود الجدولي، ومن ضمن اهتماماته الفقه والتاريخ فالق كتابا في السير والتاريخ سماه: (كتاب سير نفوسة)، قال عنه الشماخي: «ذكر انه أكمل الكتاب في أواخر شهر الربيع الآخر عام تسعة وتسعين وخمسمائة من الهجرة في ايجناون في محضرة الشيخ أبي يحيى توفيق رحمها الله»[3] وهو كتاب يدل على ازدهار الحياة العلمية والثقافية في الجبل وخصوبة الروايات، وتعدد الرحلات العلمية داخل الجبل وخارجه بقصد زيارة المراكز الحضارية لطلب العلوم والمعارف.[4] وبذلك يمكن أن يعد مقرين البغطوري ضمن ابرز واهم مؤرخي جبل نفوسة في العصور الوسطى.

وأبو موسى عيسى ابن سليمان بن أبي يعقوب الشماخي: عاش في أواخر القرن السادس الهجري، كان من سكان قرية تيغرمين -قبل أن تنتقل عائلة الشماخي إلى

1 - هؤلاء الرواة أستخرجهم الباحث من بكون كتب التاريخ والسير مثل: كتاب بدء الإسلام الابن سلام الإباضي، وسير الأئمة لأبي زكرياء الوارجلاني، والطبقات للدرجيني، والسير للبغطوري، والسير للشماخي.
2 - الشماخي، المصدر السابق، ص 542-543.
3 - المصدر نفسه، ص 548.
4 - علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم، طرابلس: منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1977، ص 16.

مدينة يفرن- اخذ العلم عن الشيخ توفيق بن يحيى الجناوني، والشيخ مقرين محمد البغطوري، وهو من الذين اهتموا بالتاريخ وسير الإعلام، وألف كتابا في السير، وبعد في الكتب المفقودة اليوم، وهو احد المؤرخين الذين نفحوا كتاب البغطوري في السير.[1]

4) علم الحساب (الفرائض):

يصنف ابن خلدون في مقدمته علم الفرائض من ضمن العلوم العددية ويقول فيه: «هي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات إذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته أو زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على المال كله».[2] ويرى احد الباحثين المعاصرين أن أهمية علم الفرائض (علم المواريث) هي التي دفعت بالرياضيات العربية إلى التطور والتجدد، وليس ذلك فحسب وإنما ظهور الجبر العربي يرجع إلى الفقه والفقهاء المسلمين.[3]

وبرز من الجبل علماء كثيرون اهتموا بهذا الجانب من العلم ومن أشهرهم: الشيخ إسماعيل الجيطالي الذي ألف فيه كتابا عرف باسم: (كتاب الحساب وقسم الفرائض)، جمع فيه الغاز الفرائض للدرجيني، كما اهتم بالعمليات الحسابية وخصوصا بالكسور تسهيلا لمعرفة نصيب الوارثين حسب الشرع الإسلامي.[4] وللأسف لم اعثر على علماء في هذه الفترة اهتموا بهذا الجانب، ربما لم تهتم المصادر الإباضية بذكرهم، إلا أنهم من غير شك موجودين على كل حال، بالإضافة إلى علوم وفنون أخرى كان يتعاطاها العلماء المسلمون في المراكز الحضارية الكبيرة كبغداد ودمشق، والقاهرة والقيروان، وفاس ومراكش، لم تتطرق إليها تلك المصادر مثل: الطب، والهندسة، والجغرافية، والكيمياء، وغيرها.

2. الوظائف العامة للعلماء:

من خلال البحث والدراسة في موضوع الحياة العلمية وتتبع سير العلماء والمشائخ في جبل نفوسة تبين لي أن الطلاب فور الانتهاء من مراحل تعلمهم، أنهم يمتهنون بعض الوظائف التي لها أهمية في المجتمع سواء كانت إدارية أو قانونية أو سياسية أو تعليمية، وكل هذا الوظائف لها علاقة مباشرة بطلبي العلم، ولا يمكن لمنفذوها من الإتيان بها على وجهها الصحيح ما لم يتدرجوا في مسالك ومراتب التعلم.

1 - تاديوش ليفيتيسكي ، المرجع السابق، ص 94.
2 - ابن خلدون، المقدمة، ص 447.
3 - محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 99.
4 - الصادق بن مرزوق، المرجع السابق، ص 52.

والغرض من تناولي لهذا الموضوع هو معرفة مدى تأثير الجانب العلمي والثقافي على مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مجتمع جبل نفوسة؟. ولكن السياق يطرح السؤال التالي: هل للدولة أو للسلطة المركزية دور في تحديد وظائف أولئك المشائخ والعلماء؟ أم أن هذه المهمة موكولة إلى والي الجبل؟ أم هي متروكة للشخص نفسه؟ ومن ناحية أخرى ما هي الوظائف التي عرفها علماء ومشائخ الجبل ومارسوها في واقعهم المعاش؟ للإجابة على هذه التساؤلات الهامة يمكن الرجوع إلى المصادر والمخطوطات التاريخية، والتي تطرق بعضها في فقرات بسيطة، ومعلومات شحيحة عن بعض المهن والوظائف التي عرفها مجتمع الجبل ومنها:

1 -الولاية: (الوالي).

لم تولي المصادر اهتمام بالوظائف كما اهتمت بهذه الوظيفة، فالمعلومات التي وصلتنا عنها تفوق أية وظيفة أخرى، كما اهتمت المصادر بذكر عدة أسماء لشخصيات تولوا شؤون هذه الوظيفة -سنتطرق إليهم فيما بعد- كما نود الإشارة إلى أن هذه الوظيفة قد مارسها بعض الولاة إلى جانب وظائف أخرى في نفس الوقت مثل: القضاء والحسبة.

والولاية من الوظائف الإدارية المهمة والحساسة، فهي تمثل أعلى وظيفة (سياسية) في المجتمع، وبذلك صارت محل صراع ونزاع، وخاصة مع بعض المنشقين[1] الذين عارضوا الدولة الرستمية، وكانت من صلاحيات الإمام الرستمي تعيين الولاة على الأقاليم، ومن بينها جبل نفوسة، والوالي له في بعض الأحايين صلاحية تعيين العمال على العمالات ويؤكد ذلك ما جاء في رسالة الإمام عبد الوهاب للجبل بعد وفاة الوالي السمح بن المعافري، عندما قال: «فليرجع كل عامل استعمله منكم السمح على عمالته التي ولي عليها».[2] ونلاحظ أحيانا ترك الإمام الرستمي الحرية لأهالي الجبل اختيار الوالي المناسب لهم، كما فعل الإمام عبد الوهاب بعد وفاة واليه أبا الحسن أيوب بن العباس، فكان اختيارهم لعبد الحميد الجناوني[3] وبعد سقوط الدولة الرستمية انتقلت هذه المهمة لأهل الحل والعقد من شيوخ وعلماء الجبل، وصاروا يرشحون من يرونه مناسبا ليكون واليا عليهم، ولهم الحق أن يعزلوا الوالي متى شاءوا، وحتى بدون سبب،[4] وأحيانا يطالب

1 - مثال للمنشقين في جبل نفوسة عن الدولة الرستمية: خلف بن السمح المعافري، وفرج بن نوح المعروف بنفاث، ذكرناهم سابقا راجع ص.
2 - الشماخي ، المصدر السابق، ص 181.
3 - المصدر نفسه، ص 182.
4 - هناك بعض الولاة والعمال تم عزلهم حسبما تذكر المصادر التاريخية الإباضية دون حدث أي دون سبب ومثال

الأهالي من والي الجبل أن يعين عليهم من يسير لهم أمورهم مثلما فعل أهالي بني زمور[1] عندما طلبوا من الشيخ أبو الربيع الملوشائي أن يجعل عليهم عاملا ويبدو أن هذا الطلب جاء نتيجة حاجة قانونية، ويفسر ذلك ما قاله احد رجال أهل زمور لأبي الربيع: «إلى متى يطلقن نساء بني زمور تلحية لحقوقهن»[2] وهذا يبين أن من صلاحيات والي الجبل تعيين العمال على عمالات الولاية. ومن أولويات المعايير المطلوبة فيمن يتولى هذه الوظيفة هي الالتزام الديني والعلم، ونذكر ابرز من تولى هذه الوظيفة حسب التسلسل الزمني:

أولا: الولاة الذين تولوا زمن الدولة الرستمية:

السمح بن أبي الخطاب: (171هـ/222م) أول الولاة في زمن الإمام عبد الوهاب الذي خلفه على الولاية، وجاء بعده أبو الحسن أيوب بن العباس: (حي بعد سنة 204هـ). ثم عبد الحميد أبو عبيدة الجناوني: (ت بعد 211هـ/826م)، الذي تولى زمن عبد الوهاب واستمر إلى زمن ابنه افلح بن عبد الوهاب[3] وفي ولايته ثار خلف بن السمح[4] وتورد المصادر التاريخية أن أبا عبيدة الجناوني لم يقبل منصب الولاية في بداية الأمر واعتذار بضعفه فرد عليه الإمام: إن كنت ضعيفا في المال فبيت مال المسلمين يقويك وإن كنت ضعيفا في البدن فالحق يقويك، وإن كنت ضعيفا في العلم فعليك بابي زكرياء اللالوتي فاستعن به في أمورك، بينما يورده الشماخي: (أبو زكريا يصليتن التوكيتي)، وقبل أن يوافق بشكل رسمي رأي ضرورة استشارة إحدى عجائز الجبل ![5] كانت معروفة بالعلم والدين والصلاح في أمر قبوله للولاية من عدمها فأشارت عليه بالموافقة في حالة عدم وجود من هو أفضل منه، ورأى في نفسه الكفاءة في قبول الأمر.[6] ويتضح خوف الوالي أبي عبيدة من تحمل المسؤولية وأعباء الحكم وذلك ما اقتضته طبيعته الدينية «فأحسن السيرة في

ذلك: الوالي أبي عبد الله بن أبي عمرو، وأبو محمد بن زارود التغرميني.

1 - بني زمور: من القبائل الأمازيغية التي كانت تستقر في العصر الوسيط نواحي مدينة جادو، وقد كانت موجودة منذ نهاية القرن الثاني هـ/الثامن م. تاديوش، تسمية شيوخ جبل نفوسة، المرجع السابق، ص 119.

2 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 29.

3 - افلح بن عبد الوهاب : ثالث الأئمة الرستميين (208-258هـ) تولى الحكم بعد وفاة أبيه وكان معروفا بالذكاء والحصافة، وهو من العلماء المشهورين، وله قصيدة طويلة بحث فيها على طلب العلم. ينظر: سليمان الباروني، المصدر السابق، ص 166-190.

4 - خلف بن السمح : (221هـ/826م)، وهو حفيد الإمام أبي الخطاب، وابن السمح أول وال على الجبل، ثار علة الدولة الرستمية زمن الإمام عبد الوهاب وحاول الاستقلال بالإجراء الشرقية من الجبل ناحية يفرن وما جاورها. ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 68-76.

5 - يقال أن العجوز المعنية هي: نانا مارن، ويوجد مسجد بقرية جماري بجادو ينسب إليها زرته عام 2004م.

6 - الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 28-29؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 70-71، الشماخي، المصدر السابق، ص 183.

جميع أموره»،[1] ولم يخش في سبيل إحقاق الحق من احد ولو كان الإمام الرستمي نفسه، وتشير بعض المصادر الموافق الجريئة لأبي عبيدة وذلك: «أن الفرس تزوجوا إماء بني زمور في مدة إقامة الإمام بنفوسة، فلما أرادوا الرجوع إلى تيهرت حملوا أولادهم منها، فقال أبو عبيدة لبني زمور: خذوا عبيدكم فأنزلوهم عن السروج».[2]

وبعد وفاة أبو عبيدة تولى العباس بن أيوب: (حي في 208هـ/823م)، زمن الإمام افلح ويقول الشماخي ليس على الجبل فقط وإنما على ما أدركه من البلاد يقصد المناطق المجاورة للجبل. ومن ولاة الجبل الشيخ مدمان الهرطلي: ق: (3هـ/9م)، تولى الحكم في عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي، الذي اختبره الإمام فبعث إليه كتابين في الأول عزله وفي الآخر تثبيته، وأمر أن يقدم له كتاب العزل أولا ليرى ردة فعله، ثم يقدم له الكتاب الآخر في حالة قبوله العزل فلما قرأه، قال: رحم الله الإمام قد علم أني لست أهلا لهذا المقام، ثم قرأ الكتاب الثاني، فقال: رحم الله الإمام قد علم أن ليس احد يحل مكاني.[3] ومن الذين تولوا الولاية وكان زاهدا فيها الشيخ أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي: ق: (3هـ/9م)، ودعا الله أن لا يمكث طويلا في هذا المنصب، فلم يتجاوز السبعة أشهر[4] في الولاية حتى توفي رحمة الله عليه.

ومن الولاة المشهورين الشيخ إلياس أبو منصور التندميرتي: الذي تولى ولاية الجبل خلال عهد الإمام أبي اليقظان ثم في عهد الإمام أبي حاتم، وهو الذي هزم العباس بن احمد ابن طولون الذي حاول السيطرة على بلاد افريقية.[5] وهو الذي أنهى قضية الخلفية.

أما الوالي افلح بن العباس: (حي في 2873هـ/896م)، ففي ولايته قامت الحرب مع الأغالبة بمانو، تولى زمن الإمام أبي اليقظان، وأقيل بعد معركة مانو (283هـ/896م)، ثم تولى مرة أخرى.

وبعد معركة مانو التي تعد كارثة بالنسبة للحياة العلمية في الجبل وذلك لموت عدد كبير من العلماء قدره البعض بحوالي أربعمائة عالم[6] وأول والي على الجبل بعد تلك الواقعة: أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي: حي بعد 283هـ/896م)، تولى باتفاق مشائخ الجبل.

1 الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 29.

2 - الشماخي، المصدر السابق، ص 180.

3 - مقر بن محمد البغطوري، سيرة أهل نفوسة، مخطوط، ورقة 16، مكتبة سالم بن يعقوب، جربة بدون تصنيف.

4 - الشماخي، المصدر السابق، ص 216-217.

5 - الشماخي، المصدر السابق، ص 225.

6 - سليمان الباروني، المرجع السابق، ص 280-284.

ثانيا: الولاة الذين تولوا باتفاق مشائخ الجبل:

بعد سقوط الدولة الرستمية صار تعيين الولاة على الجبل باتفاق أهل الحل والعقد، وهم العلماء والمشائخ، حيث قاموا بتولية كل من: أبو يحيى زكريا الارجاني: (ت: 325هـ/936م). كان بعض الأهالي يخشون منصب الولاية لما فيه من مسئولية وأمانة، وعندما تولى أبو يحيى الارجاني: «جعلت أمه وأخته تبكيان وتقولان له: أحرقوك وشووك يا حبيبي»[1] وما قالوا ذلك إلا خوفا عليه من فتنة الحكم، إلا انه سار سيرة حميدة بين رعيته وليس هذا فحسب فحتى الطوائف الأخرى كان يعاملها معاملة حسنة، فذات مرة زاره جماعة من اليهود ليباركوا له في مولوده الجديد وقدموا له أربعون دينارا هدية المولود فأبى أن يأخذها منهم فتعجبوا من ورعه وقالوا: «ما رأينا مثل هذه البلاد بلدة لا يأخذ سلطانها ولا يطمع في أموال الناس».>[2]

أبي عبد الله بن أبي عمر: (حي في: 325هـ/936م). وهو حفيد إلياس أبو منصور، كانت ولايته فترة قصيرة ثم أقيل عن الحكم.؟؟؟؟ أبي زكريا يحيى الارجاني: (حي بعد عام: 340هـ/951م). دامت فترة ولايته حوالي ستون عام ومات بعد عودته من إحدى المعارك ضد العبيديين، واغتاله رجل من قرية طرميسة.

أبو يحيى سليمان بن ماطوس: (حي في 283هـ/896م). أصله من مدينة شروس، وكان حازما في ولايته ويقول: «أنا إن له اقدر على الكل تركت الكل»[3]، وفي ذلك إشارة إلى عدله وإنصافه بين الناس، وفي حالة عدم تمكنه من ذلك فما عليه إلا ترك الولاية لمن هو أهل لها. أبو محمد زيد بن افصيت الدرفي: (عاش ما بين: 300-350هـ/912-961م). تولى باتفاق مشائخ وعلماء الجبل، واشتغل بالقضاء وكنت إقامته بمدينة جادو.

أبو عبد الله بن جلداسن اللالوتي: (عاش ما بين: 300-350هـ/912-961م). أبو زكريا يحيى بن سفيان: (حي ما بين : 350-400هـ/961-1009م). يرجع أصله لمدينة لالوت (نالوت حاليا). أبا سليمان التندميرتي: (ق: 4هـ/10م). يرجع أصله لقرية تندميرة، وتنازل عن الحكم لأبو عمرو الشروسي طواعية.

أبو عمرو ميمون الشروسي: (حي ما بين: 350-400هـ/961-1009م). يرجع أصله لمدينة شروس، وفي عهده شاع العدل والأمن في المنطقة، لك لشدته في الأمر والنهي ومحاربته

1 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 151.

2 - المصدر نفسه، ورقة 152.

3 - المصدر نفسه، ورقة 81.

للفساد ويروي: انه سمع بمجلس للخمر في الفحص[1] ويبعد عنه بحوالي ستة أميال فمضى إلى هناك ومنعهم من شرب الخمر واحتجزهم، وكانت له علاقات ممتازة مع بلاد السودان الغربي، وفي ولايته جاز الجبل تجار من التكرور وتعاملوا مع تجار وأهالي الجبل.

أبو الفضل سهل: (ق4هـ/10م). تمكن من إعادة الهدوء للجبل بعد سيطرة القبائل الأخرى عليه ومنها زناتة، كما أصلح الأوضاع والفساد في مدينة غدامس. أبو محمد عبيدة بن زارود التغرميني: (أوائل ق 4هـ/10م). يرجع أصله لتغرمين، لم يوفق كثيرا في الحكم فتنازل لأبو إسحاق الاشارني بكل طواعية، عندما أشار عليه أبو هارون بأنه لا يصلح لهذه الأمور ولا الناس يصلحون له وما عليك إلا اللحاق ببيتك والاهتمام بشئون عبادتك، وكان رد أبو محمد التغرميني لأبي هارون: رزقك الله الأجر.[2]

أبو إسحاق الاشارني: ق: (4هـ/10م). يرجع إلى قرية اشارن (بالرجبان حاليا). وهو من العلماء الذين وظفوا علومهم في السير بين الناس، ومن أقواله المشهورة لأهل أشارون: «اضمنوا لي أربعا اضمن لكم أربعا: الصلاة، والآذان، وحفظ الخط، وتعليم القرآن، يسلم مسافركم، وينمو أرزاقكم، وتطفأ نار الحرب عنكم، ويرتفع القحط».[3] ونجده في هذا النص أن الشيخ أبو إسحاق يركز على تعليم القرآن الكريم، والكتابة وهي حفظ الخط، بمعنى آخر هو يربط أهمية العلم بسلامة ونجاح الناس في حياتهم واستقرارها. كما نجده في موضع آخر يحث الناس على الصلاة في المساجد ويقول لأهل قريته: «يأهل إشارن، صرتم إلى إشارن»[4] عندما لا يجد مصلين بالمسجد.

أبو هارون موسى الملوشائي: (أواخر ق: 4هـ/10م). أصله من قرية تملوشايت، وعندما أسندت له وظيفة الوالي استقر في قرية إبانابن التي كثيرا ما كان يتردد عليها قبل ولايته. أبو الربيع سليمان الملوشائي: ق: (5هـ/11م). من مدينة تملوشايت، وهو نجل الوالي السابق. هارون بن سليمان بن أبي هارون موسى ابن هارون الباروني: ق: (5هـ/11م). سليل عائلة الباروني المشهورة بالحكم والعلم بجبل نفوسة خلال العصور الوسطى أبو زكريا يحيى بن إبراهيم ق: (5هـ/11م). إبراهيم بن أبي يحيى زكريا الباروني: (حي في عام: 722هـ/13322م).

1 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 81-82.

2 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 166.

3 - الشماخي، المصدر السابق، ص 247.

4 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 71. وإشارن : كلمة أمازيغية ومعناها: الأظافر.

2 - القضاء:

تؤكد الدراسات الاجتماعية والتاريخية أن الإنسان لا يستطع العيش بمفرده وانه مدني بطبعه،[1] وهوميال إلى لقاء الناس والاجتماع بهم والتأنس معهم وكل ذلك يتم في إطار المجتمع، المتكون من مجموعة بشر مختلفون في الطباع والأخلاق، وهذا الاجتماع من شأنه يؤدي أحيانا إلى الصراعات بفعل الاحتكاك وتضارب المصالح والحريات، وهنا يكون المجتمع أي مجتمع في حاجة إلى قضاء ليفصل في المنازعات والخلافات، وبذلك رأى أهالي الجبل الحاجة ماسة إلى وظيفة القاضي، سيما القاضي الذي يقضي في الأحكام الشرعية والجنائية بين الناس، ويحاول أن يصل إلى حلول شرعية في الفصل بين المتخاصمين في شتى معاملاتهم من: أحكام الدماء، والديات، والنكاح، والمواريث، وسائر التراعات بين الخصوم.

ويرجع للإسلام الفضل في ظهور هذه الوظيفة الحساسة، ولكن ما علاقة العلم وهذه الوظيفة؟ وكيف يكون لها اثر ايجابي في ترسيخ قيم الحق والعدل؟ إن القاضي النزيه ينبغي أن يتسم بعدة خصائص أهمها العدل، وأول الإشارات الواردة في المصادر التاريخية للقضاء بجبل نفوسة، هي ما ذكره المؤرخ ابن الصغير: «وكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة»[2] ولو أن نفوسة المعنيون في هذا النص ليسوا مقيمين بجبل نفوسة، وإنما إقامتهم بتاهرت، إلا أنهم منحدرين من الجبل. وقادمون من تلك البيئة الحضارية. وتتبين أيضا أهمية النفوسيين في الدولة الرستمية من ناحية تلويتهم مناصب حساسة كالقضاء وغيرها !. وللأسف لم يذكر لنا ابن الصغير شخصيات معينة تولوا منصب القضاء في تاهرت ترجع أصولهم لجبل نفوسة.

وتروي لنا كتب التاريخ روايات ظريفة تبين الكيفية التي يختار بها أهالي الجبل قضاتهم، ويروي لنا المؤرخ الوسياني أن أناسا: «أرادوا استقضاء رجل فقالت لهم عجوز ابعثوه لي، فبعثوه إليها، فأخذت عجينا فعملت رغيفا فجعلته في المقلا فخرجت عنه وتركته والرغيف في المقلا على النار وترك الرغيف ولم يقلبه حتى أنحرق فرجعت ووجدت رغيفها قد أنحرق، فقالت: ليس بصاحبكم رجل متكبر مضيع أو عاجز مهين وتركوه، ثم أرادوا آخر فأرسلوه إليها فجربته أيضا بما جربت به الأول، فقام إلى الرغيف فجعل يقلبه حتى نضج فوجدت رغيفها نضيجا فأخبرتهم بذلك فاستقضوه».[3] من

1 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 48.
2 - ابن الصغير، المصدر السابق، ص 63.
3 - الوسياني، المصدر السابق، ورقة 16.

خلال هذا النص نستنتج الوضع الاجتماعي والعلمي الذي اكتسبته المرأة في مجتمع جبل نفوسة، بالإضافة إلى حكمتها و حسن تدبيرها.

ومن علماء الجبل المشهورين في القضاء، الشيخ القاضي عمروس بن فتح، ق:(3هـ/9م)، وكان قاضيا في ولاية الشيخ إلياس أبو منصور التندميرتي، وخلال عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي، وعرف عمروس بالحزم وعدم التهاون في قضاءه بين الناس، حتى قال ذات يوم للوالي أبو منصور :»أن لم تادن لي بثلاثة فخذ خاتمك يا إلياس: مانع الحق يقتل، والطاعن في دين المسلمين يقتل، و الجاسوس يقتل»[1] . إلا أن من طبع الإنسان التسرع أحيانا فيورد البغطوري رواية أخرى يظهر فيها تسرع القاضي عمروس و الوالي أبو منصور بالقصاص من رجل جاء فيه كتاب من عامل قرية تيمتي[2] بأنه قام بأعمال يستحق عليها القصاص، ولولا تدخل احد أهالي ايجناون، وهو أبو الليث الجناوي و إيقافهم لضرب الرجل، وقال لهم: أبسواد في قرطاس تهرق الدماء، ولما تحروا في الأمر تبين أن هذا الرجل مظلوم وتم إطلاق سراحه[3]. ونفهم من هذا النص أن بعض الناس كانوا يقفون مع الحق حتى في وجه القضاة و الولاة دون خوف أو وجل .

ولاحظت أن وظيفة القاضي كان يمارسها الوالي في نفس الوقت، ومثال ذلك الشيخ أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوشائي، الذي كان واليا قاضيا في ذات الوقت. فقد قسم يومه بين تلك المهام: « فإذا افترق المجلس اشتغل بالقضاء بين لناس إلى زوال الشمس فيقوم ويشتغل بالصلاة».[4] ومن القضاة الولاة الشيخ أبو يحيى زكريا الارجاني، وتبين لي أن مدينة جادو هي المكان الذي كان يجلس فيه الشيخ أبو يحيى للقضاء بين لناس ويمكث فيها من أول النهار إلى آخره،[5] وروى عنه: «إذا جلس للقضاء بين الناس يقول: اللهم أعطي الحق لذي الحق يا ذا الحق، ولا حجة لمحتج إذا احتج بلا حق».[6] فهو دائم الاستعانة بالله العظيم ويطلب توفيقه فهو يعلم مدى المسئولية الملقاة على عاتقه.

-11 البغطوري، المصدر السابق، ورقة 62.
2 - تيمتي: قرية من قرى جبل نفوسة كانت آهلة بالسكان خلال العصور الوسطى، وهي اليوم خرائب وأثارها على الحافة الغربية لعين البراهمة (القرية الشرقية في الرجبان)، رواية شفوية: الأستاذ إمحمد البوجديدي، طرابلس، 2008/1/26.
3 - المصدر نفسه، ورقة 63.
4 - البغطوري المصدر السابق، ورقة 27.
5 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 153.
6 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 152.

3 - الحسبة:

كانت وظيفة المحتسب معروفة لدى أهالي جبل نفوسة، وقد مارسوها لما لها من ايجابيات في توفير الأمن والنظام. فالمحتسب على عاتقه نقع مسئولية مراقبة الأسواق من نظافتها ودقة المكاييل والموازين، وتخفيف المتاع والبضائع على الدواب، وبشكل عام القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وللأسف لم تتطرق المصادر المتاحة لهذه الوظيفة بشكل مستفيض، فلمن تعطينا أسماء للأشخاص الذين تقلدوا هذه المسئولية، ما عدا الإشارة لأبو يوسف وجدليش الذي يعد أول من أسندت إليه وظيفة المحتسب بالجبل كما يشير الشماخي لذلك قائلا: «وكان أمر سوق جادو إليه يأذن لمن يشاء أن يبيع ويمنع من في ماله شبهة».[1] وهذا دليل على نجاحه وسمو أخلاقه حتى وثق به الأهالي فيس جادو مفادها أن رجل جاء «إلى سوق جادو ليبيع غنمه، فسأله أبو يوسف وجدليش، من تكون؟ فرد: أنا ابن فلان من أهل إينر[2] فسمح له بدخول السوق ومزاولة البيع والشراء، ثم جاء رجل آخر، فسأله أبو يوسف مثلما سال به الأول، فقال: أنا ابن فلان من أهل اغل، فنهره الشيخ وقال له: أتبيع حرام أبيك هنا، وطرده من السوق، ففر هاربا والشيخ يلاحقه حتى بلغ ماطس.[3] وواضح ما يقوم به المحتسب الشيخ أبو يوسف وجدليش من محاربة الفساد، والضرب على أيدي المفسدين بكل قوة وحزم لكي ينتشر الخير والصلاح في المجتمع.

وأحيانا نجد تداخل بين عمل الوالي والمحتسب، فمثلا ما قام به الوالي أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني من سلوك يخص المحتسب عندما: «حجر على أهل اجناون خرط زيتونهم إلى وقت معلوم، فكسر بعضهم الحجر، فأدبه، قال: أتضربني على مالي يا بن فحمس، قال له: حاش لله أن أضربك على مالك وإنما ضربتك على الحق».[4] وبالفعل كان الوالي الجناوني ر يهدأ له بال إلا بعد أن يطمئن بخروجه إلى غابة ايجناون ويقوم بما يقوم به أهل الحسبة من تفقد للأشجار وأملاك الناس ويمنع الفساد، وخاصة إذا علمنا أن: «عين اجناون تدور على اثني عشر ألف زيتونة»[5]، ويرى في نفسه هو المسئول الأول عنها.

1 - الشماخي، المصدر السابق، ص 334.

2 - أهل إينر: من قرى جبل نفوسة وهي اليوم من ضمن قرى مدينة الرحيبات، وهي شمال غرب قرية تمزدا، وتعني إينر: الجبهة أو المقدمة، أي مقدمة الشيء، وما زالت أثارها ماثلة لعيان، منها مباني القرية وقصر إينر ماسين، ومسجد الشيخ أبو سليمان الاينري. رواية شفوية: الأستاذ إمحمد البوجديدي، طرابلس، 2008/1/26م.

3 - ماطس: من قرى جبل نفوسة وهي واقعة بالقرب من مدينة جادو.

4 - المصدر نفسه، ص 179.

5 - الشماخي، المصدر السابق، 189.

3. الإنتاج العلمي (المؤلفات):

من نتائج الحركة العلمية والثقافية في جبل نفوسة بمختلف مستوياتها ومنذ القرن: (2هـ/8م)، خلفت / تركت كما هائلا من الإنتاج العلمي في صورة مؤلفات ومصنفات شملت نواحي عدة من العلوم والفنون المعروفة وقتذاك لاسيما العلوم الدينية من فقه وتفسير وعلم كلام، بالإضافة إلى الدراسات اللغوية والأدب ومؤلفات في السير والتاريخ والفلسفة والحساب.

واهتم علماء الجبل بالكتاب تأليفا ونشرا، ومن الأقوال المأثورة في الاهتمام بالكتب قولهم: «ومن حمل كتابا إلى بلاد لم يكن فيه خير من حمل ألف حمل دقيق فتصدق بها عليهم».[1] والسياق هنا يطرح التساؤلات التالية: ما هي المواد التي استخدمها علماء ومشائخ الجبل في صناعة الكتاب؟ والورق المستعمل هل هو محلي الصنع؟ أم أنهم كانوا يستوردونه من خارج الجبل؟ فإذا كان كذلك فمن أين؟

ويمكن أن نتحدث عن أهم الكتب حسب تسلسل زمن تأليفها وذلك لكي تتضح ظروف المؤلف وتأليفه، والأسباب التي دعت إلى نوعية واختصاص ذلك النشاط، والنتائج المترتبة على عموم المؤلفات، وملاحظة تطور التأليف عبر القرون.

أهم مؤلفات القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي:

يبدو أن الاتجاه نحو التأليف في جبل نفوسة بدأ منذ القرن الثالث الهجري، وهو بدون شك أمر طبيعي يتماشى مع المنطق التاريخي للمنطقة، لاعتبار القرون السابقة وخاصة (القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي) فترة تأسيس وبناء لمختلف عناصر ومقومات الحياة العلمية (ترسيخ العلم والتعلم، وتشييد المساجد والمدارس وغيرها)، لكي يتمكن المصنف للعلوم من الإنتاج والعطاء الفكري، وما يؤكد ذلك أن المصادر لم تشير إلى ظهور تأليف قبل القرن الثالث الهجري.

من أقدم المؤلفات التاريخية في جبل نفوسة، كتاب: (بدء الإسلام وشرائع الدين)، لمؤلفه: الشيخ لواب بن سلام الاغرميماني (ت بعد: 273هـ /887م) يرجع أصله إلى قرية اغرميمان. وقام كل من الشيخ سالم بن يعقوب والمستشرق الألماني شفارتز بتحقيقه وطبعه سنة 1975م.

وكذلك من مؤلفات الجبل في تلك الفترة التاريخية المبكرة، كتاب للشيخ نفاث بن

1 - الوسياني، المصدر السابق، ورقة 95.

نصر، احد علماء الجبل خلال القرن (3هـ/9م)،[1] لم تذكر المصادر التاريخية اسم الكتاب، ويبدو أن سبب تأليفه لهذا الكتاب لنشر أفكاره الفقهية، والسياسية، والكلامية، التي عارض بها مذهب الدولة الرستمية، وترى بعض المصادر التاريخية السبب في معارضته وإعلام عصيانه طمعه السياسي في الوصول إلى منصب الولاية على الجبل، إلا انه فشل في دلك المسعى،[2] فاخذ يثير المتاعب للدولة الرستمية بالطعن في أهلية وسلوك أئمتها،[3] فاستخدم كل الوسائل المتاحة ومن بينها التأليف لإنجاح مطلبه، وتعميم أفكاره.

وفي نفس الفترة الزمنية يلاحظ ظهور كتاب للشيخ مهدي الويغوي النفوسي (ق 3هـ/9م)، ألفه باللغة الليبية القديمة، وهو في مجال علم الكلام، وسبب تأليفه للرد على أراء الشيخ نفاث ابن نصر الفكرية، ومن المعروف عنه في المصادر التاريخية انه: «اشتهر عنه انه احد من صد مكايد نفاث بن نصر النفوسي».[4] ويبدو أن احد أساليب صده هو تأليف الكتب ونشرها.

ويبدو أن حركة نفاث بن نصر شكلت نوعا من الخطورة والتأثير على الدولة الرستمية، إلى درجة أن يقوم بالرد على مؤلفاته عددا من العلماء فإلى جانب ردود الشيخ مهدي الويغوي المذكور سابقا، نجد عالما آخر يقوم بالرد عليه وهو الشيخ أبو القاسم سدرات البغطوري، في صورة أجوبة ردا على تساؤلاته وهي نتيجة أتاحتها الظروف العلمية السائدة حينذاك، فتنافس وحوار الأفكار أعطى مجالا خصبا وحيويا لمزيد من المؤلفات المتعددة والمتنوعة في مختلف المجالات. ويلاحظ أن بعض الكتب ظهرت للرد على كتب وأفكار أخرى مما يعني دوام النشاط الفكري، وغليان الساحة الثقافية.

وكذلك من مؤلفات الجبل ما تركه العلامة عمروس بن فتح المساكني (ت 283هـ/ 896م)، من أهمها: كتاب (أصول الدينونة الصافية) المعروف ب (العمروسي)،[5] وتشير

1 - الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 33.
2 - الدرجيني، المصدر السابق، ص 77-83.
3 - الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 33.
4 - الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 314، الشماخي، المصدر السابق، ص 170.
5 - يرى الدكتور إحسان عباس في كتابه: تاريخ ليبيا، المرجع السابق، ص 112، أن هذا الكتاب ألفه صاحبه في مجال الفقه، إلا أن (العمروسي) يعد من ضمن كتب التراث الكلامي عند الإباضية، وهذا ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية: أن احد علماء الكلام الإباضيين بفزان بعث للشيخ عمروس يطلب منه أن يؤلف له كتابا في الكلام والأصول، فألف له الكتاب المعروف بالعمروسي، وجميع الكتب المنسوبة الشيخ عمروس لم يصلنا منها سوى كتاب واحد فقط وهو كتاب: (أصول الدينونة الصافي)، وأظنه هو نفسه كتاب العمروسي المذكور/ لان أصول الدينونة في مجال عم الكلام، للمزيد انظر: البغطوري، المصدر السابق، ورقة 133؛ والشماخي، المصدر السابق، ص 229.

المصادر إلى سبب تأليفه لهذا الكتاب بناء على طلب احد مشائخ فزان وهو الشيخ عبد الخالق الفزاني ويبدو انه من المهتمين بعلم الكلام.[1]

وهذا التأليف يكشف عن جانب آخر في إطار علاقات جبل نفوسة العلمية ومدى تواصله الثقافي مع المناطق الأخرى من حيث تبا

ل الكتب ونشرها -كما أشارت الدراسة في عدة مواضع-. ويعد هذا الكتاب في مجال أصول الدين، ابرز فيه عمروس ثلاث نقاط رئيسية وهي: موقف الإباضية من المؤمنين والمشركين والمنافقين، مواطن الخلاف بين الفرق الإسلامية مثل المرجئة[2] والمعتزلة والصفرية،[3] مع ذكر الأدلة باختصار، تحليل مالا يسع جهلة طرفة عين، وما يسع جهله مع الإيمان والعمل حتى يحل وقته.[4] كما ألف رسالة أخرى في الرد على الناكثة[5] واحمد بن الحسين. والتأليف الثاني يأتي في إطار متابعة ما يجري على الساحة الفكرية الإسلامية ومحاربة الإسهام فيها بمصنفات وكتب أخذت مكانتها في المكتبة العربية الإسلامية. وتشير المصادر إلى عزم عمروس لتأليف كتاب فقهي أراد أن يتبع فيه منهج جديد في التأليف عما هو متعارف عليه وقتذاك إلا أن وفاته كانت هي الأسبق.[6]

كما ألف الشيخ أبو يحيى سليمان بن ماطوس من علماء مدينة شروس خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، كتابا في أصولا الدين لم تذكر المصادر اسم الكتاب، وهو من العلماء الذين تمتلئ بطون الكتب بأقوالهم وأرائهم وفتاواهم. وهذه الملاحظة تتكرر مع أكثر من عالم لم نعثر له على مؤلفات بعينها وإنما آراؤه مثبتة في كتب أخرى. كما ألف ابن ماطوس كتاب آخر في الشريعة عرف بـ (كتاب ابن ماطوس)، كان الإماء والخدم يتدارسونه عند خروجهم لجمع الحطب، وجلب المياه.

1 - البغطوري، المصدري السابق، ورقة 133، والشماخي ، المصدر السابق، ص 229، نحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 139.
2 - المرجئة: فرقة من الفرق الإسلامية التي ظهرت في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي، ومن أسسها انه لا يضر مع الإيمان معصية، وان طاعة الإمام الجائر واجبة، فلا ثورة ولا خروج، ويرجون النجاة لكل المؤمنين يوم القيامة، وإن مانوا على المعصية ولذلك سموا بأهل الوعد، ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق/ ص 332-333.
3 - الصفرية: فرقة كبيرة من الخوارج، أتباع زياد بن الأصفر، انفصل عن الأزارقة بسبب قضية الاستعراض (قتل أطفال المسلمين المخالفين لهم ونسائهم)، أسس الصفريون دولة بني مدرار بسجلماسة سنة 155هـ، ينظر إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 342.
4 - عمروس بن فتح المساكني، أصول الدينونة الصافية، مخطوط، ورقة 1-11. مكتبة الأستاذ صلاح الدبلي، طرابلس، بدون تصنيف.
5 - الناكثة: إن هذه الفرقة لها عدة مسميات، في الأساس هي فرقة النكار الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب الرستمي سنة 171هـ على رأسهم يزيد بن فندين وهو الافتراق الأول للإباضية، كما يطلق عليهم: النجوية، والملحدة، والشعبية، ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 280.
6 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 131، الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 321.

أهم مؤلفات القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي:

يتضح تطور التأليف في هذا القرن حيث ظهر التأليف الجماعي للمؤلفات. ويلاحظ هنا إسهام بعض علماء الجبل بالاشتراك مع علماء آخرين من خارج الجبل في تأليف الموسوعات الفقهية (الخاصة بالعبادات والمعاملات والأحكام). وكانوا الرواد في ذلك الأمر[1] وعرفت تلك الموسوعات في المصادر التاريخية باسم (الديوان ومنها: (ديوان الأشياخ) و(ديوان العزابة). وقام بتأليف الأول سبعة علماء في غار امجماج بجربة. ومن ضمن أولئك العلماء هناك عالم من جبل نفوسة وهو أبو زكريا يحيى بن جرناز اللالوتي النفوسي، ويرجع نسبه إلى مدينة لالوت (نالوت)، وشارك في هذه الموسوعة كما أشار لذلك الشماخي قائلا: «ومنهم أبو زكرياء يحيى بن جرناز النفوسي وكان من جملة أصحاب الغار ومن ألف في الديوان».[2] وان هذا الديوان ألفه علماء من أصول مختلفة منهم من جبل نفوسة ومن مزاتة ومن جربة وملية، وليس كما أورد احد الباحثين المعاصرين بان هذا الديوان ألفه سبعة من كبار علماء نفوسة.[3]

أما ديوان العزابة الذي يقع في خمسة وعشرين جزءا، فقد ألفه ثمانية من العلماء من مختلف الجهات، منهم اثنان من علماء جبل نفوسة وهم: يخلفتن بن أيوب، ومحمد بن صالح المسناني النفوسي، كما أشار إلى ذلك الوسياني: «وذكر أن الشيخ يخلفتن بن أيوب النفوسي ففتح الله له أن صار واحدا من واضعي كتب العزابة، وهو الذي ألف «كتاب النكاح ومسائل الخالات»،[4] وأما محمد بن صالح فقد ألف كتاب الوصايا.[5] وبذلك تتضح مشاركة علماء الجبل في التأليف الموسوعي المبكر مع غيرهم من علماء المغرب الإسلامي.

كما أن للمناخ العلمي دورا كبيرا بما يحوي من نشاط ثقافي وبروز مسائل ومشكلات جديدة سواء كانت فقهية أو مدنية (معاملات)، نتيجة للتطورات الاجتماعية والاقتصادية، وتشابك المصالح بين أفراد المجتمع، تقف جميعها تتحدى فكر وذهن الفقيه العالم لكي يعطيها حلولا وفتاوى نابعة من الشرع وبما يتماشى مع أعراف المجتمع، وهذا الجو يتفاعل فيه العلماء فيما بينهم ويشاركهم في ذلك طلابهم النابغون فظهرت كتابات في صورة أجوبة على تساؤلات مطروحة أو مسائل نازلة ما يعرف بـ (النوازل)

1 - محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 388-389.
2 - الوسياني ، المصدر السابق، ورقة 54-55، الشماخي، المصدر السابق، ص 402.
3 - احمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 168.
4 - الوسياني، المصدر السابق، ورقة 269-270.
5 - الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 456.

ومن نماذج تلك الأجوبة في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي: أجوبة الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون إلى تلاميذ منها أجوبة لأبي محمد عبد الله الجدولي، ولأبي زكرياء يحيى الباروني.

أهم مؤلفات القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي:

أجوبة أبي زكرياء يحيى الجناوني لداود أبو سليمان بن هارون، وأجوبة داود بن هارون لأبي عبد الله محمد بن أبي زكرياء.

كما ظل الخلاف الفكري من العوامل التي نشطت حركة التأليف في الجبل، وغيره من المناطق، وتلك سنة طبيعية في المجتمعات البشرية، ولكي يدافع أصحاب الآراء عن صحة أرائهم استخدموا علم الكلام الذي حفز العلماء على التأليف ووضع الشروح أو الاختصارات، ومنها على سبيل المثال: كتاب المسائل لأبو سليمان داود بن هارون. كما أسهم أبو زكرياء يحيى بن الخير الجناوني في هذا الصدد بمصنفات منها: رسالة عقيدة نفوسة، وهو مختصر تعليمي استخدم للتدريس في مدارس الجبل، وله كتاب الوضع في الأصول والفقه ومن الملاحظ أن المصادر نسبت هذا الكتاب لعدة مؤلفين وهم: أبو زكرياء الجناوني وأبي زكرياء الجادوي، وأبي زكرياء يحيى بن إبراهيم الباروني، والأرجح أن مؤلفه هو أبو زكرياء الجناوني، وهو ما دهب إليه أبو القاسم البرادي،[1] الذي اهتم بمؤلفات الجبل فمن المؤكد أن تكون له مصادره الوثيقة، حيث درس في جبل نفوسة على يد الشيخ عامر الشماخي.

ومن مؤلفات أبي زكرياء يحيى الجناوني: (كتاب الوضع) وهو مختصر في الأصول والفقه، حققه الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، وطبع عدة مرات، كما عمل الشيخ أبي ستة محمد بن عمر حاشية على كتاب الوضع. و(كتاب الرهن)، و(كتاب النكاح)، و(كتاب الأحكام)، و(كتاب الصوم)، وكان أهالي الجبل يعتمدون على كتب الشيخ يحيى الجناوني حفظا وفتيا، لسلاسة أسلوبه ولأنها مفيدة في التوحيد وفقه العبادات والأحكام، وأودع فيها الراجح من الأقوال، وربما يذكر فيها الخلاف وكتبه مفيدة في الأحكام.[2] كما ألف الشيخ أبو عبد الله محمد الفرسطائي العديد من الكتب خلال هذا القرن (5هـ/11م)، وأشار لذلك المؤرخ أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر بقوله: «وله في كل فن تأليف كثيرة»،[3] ولكن لم يصلنا منها شيء.

1 - البرادي، الجواهر المنتقاة، ص 219.
2 - معجم أعلام الإباضية، ؛والشماخي، المصدر السابق، ص 535-536.
3 - الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة

ومن مؤلفات ذلك القرن ما ألفه العلامة الشيخ أبو العباس احمد بن محمد الفرسطائي، وفي الواقع أن هذا الشيخ له مؤلفات كثيرة نذكر منها: القسمة وأصول الأرضين،[1] وكتاب: التوحيد، وكتاب: السيرة في الدماء والجراحات، وكتاب: الديانات، وكتاب: أبي مسألة، وكتاب: تبيين أفعال العباد، وكتاب: الألواح، وسمى بهذا الاسم لأنه قبل انجازه وتركه في الألواح، وكتاب: الجنازو. ويعد من ضمن العلماء الذي اشتركوا في تأليف ديوان العزابة، وكانت مساهمته تأليف كتاب: الحيض.

أهم مؤلفات القرن السادس اهجري/الثاني عشر الميلادي:

ألف الشيخ أبو موسى عيسى بن عيسى النفوسي (كتاب السؤالات)، وان الشيخ توفيق بن يحيى الجناوني ألف (كتاب الطهارات)، وهو في مجال العبادات، كما اهتم التاريخ والسير فألف فيها كتاب سماه: (التقييدات)، ومن عنوان الكتاب يبدو انه قيد فيه معلومات عن سير الإعلام وبعض الأحداث التاريخية على غرار كتب السير المعروفة في الجبل وقتذاك، إلا انه من الكتب الضائعة فلم يصلنا. ومن الذين اهتموا أيضا بالتأليف في المجال التاريخي والسيري الشيخ مقر بن محمد البغطوري، الذي ألف كتابا في أسير وورد له عدة تسميات منها: (كتاب سير ومشائخ نفوسة)، (كتاب سير أشياخ نفوسة، (كتاب السير)، (كتاب سير نفوسة)، (كتاب سير الجبل).[2] ويفيد البغطوري انه أتم تأليف كتابه في ربيع الآخر عام 599هـ/الكانون 1202م.

ومن المهتمين بالسير والتاريخ الشيخ أبو موسى عيسى بن سليمان الذي ألف هو الآخر كتابا في السير. وفي نفس المجال هناك كتاب لمؤلف مجهول كما يرى المستشرق ليفيتسكي بعنوان: :تسمية شيوخ جبل نفوسة وفراهم».[3]

أهم مؤلفات القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي:

ومن أهم مؤلفات القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي مجموعة مصنفات للشيخ أبي نصر بن نوح التملوشايتي، واتبع في كتاباته أسلوب القصيدة الشعرية،

1 - طبع هذا الكتاب في ثمانية أجزاء، في سلطنة عمان وبتحقيق الدكتور: محمد ناصر والشيخ بلحاج بكير، وأعيد طبعه في الجزائر، منشورات جمعية الثرات.

2 - تاديوش ليفيتسكي، المرجع السابق، ص 156. ويبدو أن المستشرق ليفيتسكي لم يرى هذا المخطوط لأنه يقول: ولم يصلنا هذا المصنف ولا نعرفه إلا من خلال المقتطفات التي أوردها الشماخي وهذا صحيح لان تاديوش توفي قبل أن يعثر الشيخ سالم بن يعقوب على مخطوط سير البغطوري في السبعينات بمكتبة البغاطر في حومة والغ، وهذا ما اخبرني به محمود سام بن يعقوب نجل المرحوم الشيخ سالم بن يعقوب في زيارتي إلى جزيرة جربة في (2004/2/1).

3 - المرجع نفسه، ص 177.

والتساؤل المطروح لماذا كتب أبو نصر مؤلفاته بهذا الشكل؟ أما المجال الذي اهتم بالتأليف فيه هو الفقه والأصول فألف: (النونية في أصول الدين)، من نطلعها: (طويل)

سلام على الإخوان في كل موطن *** بنجد وخيف والسهولة والحزن[1]

ساهدي إليكم من كلامي قصيدة *** أقدمها للنفس يوم التغابـــن

تنبهكم عن بعض ما لم يسعكم *** فما حكمتها بوصف جان ولا دن

أروم بها إحياء علم عقائـــد *** درسن فلم يحفل بها كل معتـن

ألا بدلوا قافا بعين وصادهـا *** بقاف وصونها من الصحف واللحن

نظرت إلى قراءنا فوجدتهم *** بفقه المعاش مولعين بالسن

تناسوا أصول الدين من اجل إنها *** صعاب وما فيها ثمار لمن يجن[2]

ونقتطف أبيات من آخر القصيدة:

خذوها وخطوها ولا تزدروا بها *** ولا تلحظوا فيها بطرق التهجين

وأنشدكم بالله أن تتصفحـــوا *** عن الفلتات الصادرات عن اللكن

فيارب عفوا عن عبيدك انه تكلف *** شعرا بالروى المنــــون

وأخر قولي الحمد لله وحده *** واستغفر الرحمن من خطاء من

ومني سلام الله ما ذر شارق *** على احمد الهادي إلى خير موطن[3]

فهذه النونية وضعها صاحبها في اثنين وثمانين بيتا جمع فيها أصول الدين، وانتشرت في مختلف مدارس الجبل واعتنى بها العلماء والطلاب، وقام عددا من لعلماء والشيوخ بشرحها، منهم على سبيل المثال: الشيخ إسماعيل الجيطالي في هذا الصدد. كما قام بشرحها الشيخ عمرو بن رمضان التلاتي ووضع لها عنوان: (اللالئ الميمونية على المنظومة النونية)، ومن شراحها أيضا: قاسم بن يحيى الويراني، والشيخ عبد العزيز الثميني معنونة بـ (النور).

1 - الحزن : الأرض الصعبة

2 - أبو نصر التملوشايتي، المصدر السابق، ص 1.

3 - المصدر نفسه، ص 13.

كما ألف (الرائية في الصلاة) من مطلعها: (طويل)

سما من سما بالجد والعزم والصبر *** وسهر الليالي والسري والتهجر

وغودر بالتسويف في النوم أو غدا *** اخو العجز والكسل البطيء عن الخير

أحب فتى العزائم حازمـــــــا *** لدنيا وأخرى عاملا بالتشمر

وأما اخو النومات لا مرحبا به *** ولا بالجثوم الراكد المتدثر[1]

فمن ضيع المفروض من صلواته *** أو آخر منها فهو أضيع للغير

ومخرم بعضا من وظائفها التي *** تتم بها لا عذر إلا لذي عذر

إذا قمت للتوجيه بالقصد فانتصب *** بقلب خلي فارغ من سوى الذكر

وقل خاشعا وجهت وجهي للذي *** تقدس عن ضد وند ومنكر

وقف خاليا من العلائق إنهـــا *** مناجاة مولاك الجليل المدير

ومن آخرها:

ولم يحد منوالا تقدم قبلـــه *** بنظم علوم الفقه والدين بالشعر

فاعجز أهل العصر كلا وبعده *** كما اعجز الأمي من فاه بالسحر

عليه سلام الله ثم صلاته *** ورضوانه يا حبذا طيب الذكر

فطوبى لمن كان النبي شفيعه *** وراح إلى الفردوس مع صالح الزمر[2]

وقام أيضا عدة علماء بشرح هذه المنظومة (الرائية في الصلاة) منهم: الشيخ «إسماعيل الجيطالي، وقاسم بن يحيى الويراني، وعبد الله بن زياد العماني، وعبد العزيز الثميني، ومحمد بن سليمان بن إدريسو.

كما ألف الشيخ أبو نصر النونية في خلق القرآن، والحائية المسماة: (تحريض الطلبة من مطلعها: (سريع).

الحمد لله على ما أراح *** من نعم أو نقم قد أزاح

احده حقا واشكره *** على الآلاء الظاهرات الوجاع

1 - التملوشايتي، المصدر السابق، ص 203.

2 - المصدر نفسه، ص 211.

والصلوات الطيبات على *** نبيه احمد زين البطاح

ثم الرضى عن أهل قدوتنا *** أئمة الدين نجوم الفلاح[1]

وآخرها:

هذا كلامي والسلام على *** كل أديب ما أضاءت براح

أبناء جدي حيثما قطنوا *** وأينما حلوا بأقصى النواح

خصوا أخاكم بالدعاء إذا *** قرأتوها واعملوا بالنصاح

كما ألف (الدالية) المسماة: رسالة المسترشد وكفاية المستنشد في الوعظ والإرشاد، كما ألف كتابا سماه: (مقامات)، قام بشرحه الشيخ عبد الرحمن بكلي البكري، وألف القصيدة: (البائية في الأخلاق، وله ديوان شعر اغلب مواضيعه في الأخلاق والعقيدة.

أهم مؤلفات القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي:

من مؤلفات جبل نفوسة خلال هذا القرن كتاب الإيضاح[2] للشيخ عامر الشماخي في الفقه، الذي قل فيه أبو العباس احمد الشماخي: «وهذا التأليف ما أظن ألف في المذهب مثله، جمعا وتعليلا، واختصارا غير مخل وتطويلا غير ممل، ولا مكرر، وهو اعتماد أهل المغرب في وقتنا خصوصا نفوسة»،[3] ونستنتج من نص الشماخي أن هذا الكتاب جامع لفقه المذهب في مختلف المسائل الفقهية في العبادات والمعاملات، وبذلك يكون من الكتب المهمة في المكتبة العربية الإسلامية، وشهدت له بعض الدراسات المعاصرة بالإبداع والموسوعية وإمكانية اعتباره من كتب الفقه المقارن.[4] كما ألف الشيخ عامر رسالة متن الديانات في الأصول، وقصيدة الأزمنة. ومن ابرز مؤلفي الجبل الشيخ إسماعيل الجيطالي الذي أثرى المكتبة العربية الإسلامية بمؤلفات عدة منها: (قواعد الإسلام) و(كتاب قناطر الخيرات)،[5] و(شرح النونية لأبي نصر بن نوح التملوشايتي) في جزأين،[6] وألف

1 - التملوشايتي، المصدر السابق، ص 17.

2 - كتاب الإيضاح للشماخي تمت طباعته سنة 1970 في، بيروت: مطبعة الوطن وكان في أربعة أجزاء.

3 - الشماخي، المصدر السابق، ص 560.

4 - عبد الكريم عبد الله بلقاسم، عامر بن علي الشماخي، منهجيه الفقهي من خلال كتابه الإيضاح، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، كلية التربية ، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، مارس 1984، ص 330.

5 - كتاب قناطر الخيرات: يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء قام د.عمرو خليفة النامي بتحقيق الجزء الأول من قنطرة العلم والإيمان، وطبع في القاهرة سنة 1965ف، وبقيت الأجزاء الأخرى دون تحقيق. ينظر: معجم علماء الإباضية، المرجع السابق، ص 57.

6 - كتاب شرح النونية لأبي نصر الملوشائي: ما زال مخطوطا.

(كتاب الحساب وقسم الفرائض)، و(كتاب مناسك الحج)، و(عقيدة الجيطالي) و(تذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان) في الأدب.

وألف الشيخ أبو عزيز بن إبراهيم بن أبي يحيى كتابا سماه» (لقط أبي عزيز)؟، وهو مزيج من السير والأخبار والفقه.

وألف الشيخ أبو يحيى زكرياء بن عيسى الابدلاني كتابا في العبادات سماه: (المناسك). وألف الشيخ أبو عمران موسى بن عامر الشماخي كتاب في الفقه سماه : (لقط أبي عمران موسى بن عامر).

مؤلفات مجهولة المؤلف:

ومن مؤلفات الجبل مجهولة المؤلف كتاب: (روايات أهل الجبل)، أورده الوسياني في سيره.[1] ويبدو من عنوان الكتاب انه في مجال التاريخ، كما أن الشماخي يذكر عنوان كتاب دون أتطرق لمؤلفه بعنوان: (أخبار علماء نفوسة ومناقبهم)[2] وهذا الكتاب بصنف في كتب التراجم والطبقات، ومن الملاحظ أن علماء الجبل اهتموا بهذا الجانب من الكتابة والتأليف.

1 - الوسياني، المصدر السابق ظن ورقة 169.

2 - الشماخي . المصدر السابق، ص 234.

الفصل الرابع

(الحياة العلمية في الجبل وتأثيرها على بلاد السودان الغربي)

1. **جغرافية بلاد السودان الغربي.**
2. **ممالك بلاد السودان الغربي.**
3. **علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان الغربي.**
4. **الطرق والمحطات التجارية.**
5. **التأثير الديني والثقافي.**

1. جغرافية بلاد السودان:

تطلق المصادر (الجغرافية والتاريخية العربي) لفظ السودان للدلالة على ارض وسكان المناطق التي تلي الصحراء الكبرى جنوبا، وأولى المؤرخون والجغرافيون العرب اهتماما كبيرا بدراسة تلك البلدان في كتاباتهم فتحدث عنها شمس الدين المقدسي قائلا: «وأما ارض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة وهم أجناس كثيرة».[1]

ونجد الجغرافي الاصطخري (عاش في النصف الأول من ق: 4هـ/10م)، يصفها: «وبلدان السودان بلدان عريضة... ليس في أقاليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم هو أوسع منه، ويمتدون إلى قرب البحر المحيط مما يلي الجنوب، ومما يلي الشمال على مفازة ينتهي إلى مفاوز مصر من وراء الواحات ثم على مفاوز وبين ارض النوبة».[2]

كما وصفها القزويني (عاش خلال ق: (7هـ/13م)، بقوله: «هي بلاد كثيرة، وارض واسعة ينتهي شمالها إلى ارض البربر، وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها البحر المحيط، أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها».[3]

كما تحدث ابن خلدون (732-808هـ/1332-1406م) عن أمم السودان قائلا: «وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والحبشة والنوبة... ويليهم البجاوة وهم نصارى ومسلمون، ويليهم الزغاوة وهم مسلمون... ويليهم الكانم وهم خلق عظيم... ويليهم من غربهم كوكو...وبعدهم نغالة والتكرور... ويتصلون بالبحر المحيط ى غانية».[4]

من خلال ما تقدم عرضه من أقوال المؤرخين والجغرافيين العرب نستطيع أن نصل تقريبا إلى الحدود الجغرافية لبلاد السودان، فهي تشغل مساحة شاسعة من البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن شمال الصحراء الكبرى وجنوبا الغابات الاستوائية، إلا أن هذه المناطق تعرضت في فترة الاستعمار إلى تقسيم ورسم حدود مصطنعة فظهرت إلى الوجود خريطة لثلاث مناطق للسودان م يعرف: (السودان الغربي، والأوسط، والشرقي).

---

1 - شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت: مكتبة خياط 1906، ص 341.

2 - ابن اسحق الاصطخري، المصدر السابق، ص 34-35.

3 - زكرياء بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر، 1960، ص 24.

4- ابن خلدون ، العبر، مج 6، ص 235-236.

1 - السودان الغربي: ويشمل المناطق الواقعة بين حوض السنغال والحوض الأوسط لنهر البحر والمجرى الأعلى لنهر فولتا.[1]

2 - السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.

3 - السودان الشرقي: ويمتد شرقا حتى البحر الأحمر وغربا إلى حدود إقليم دار فور ويضم الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيجر.[2]

وتبين من خلال المصادر أن جبل نفوسة كانت علاقاته (التجارية والثقافية) محصورة بشكل كبير بين منطقتي السودان الغربي والأوسط وكان لهم اهتمام ببلاد السودان الغربي.

1 - محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق: خليل عساكر وآخرين، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1965، ص 132؛ الشيخ الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغاي، جدة: دار المجتمع العلمي، 1979، ص 41؛ عبد القادر زيادية، المرجع السابق، ص 15.

2 - محمد بن عمر التونسي، المصدر السابق، ص 132.

ممالك السودان الغربي:

تتميز بلاد السودان الغربي بميزات جغرافية واقتصادية من شانها أن تجعلها منطقة جذب لمختلف الهجرات، وبذلك يكون سكانها خليط من القبائل الإفريقية والعربية سمحت لهم طبيعة المكان الجغرافي حرية الانتقال والتنقل بكل إنسانية لعدم وجود حواجز طبيعية تعوق حركة تلك الهجرات. كما أن المنطقة تتمتع بثروات طبيعية: (معدنية، نباتية، بحرية)، ويأتي معدن الذهب على رأس الثروة الاقتصادية جعل لبلاد السودان الغربي شهرة عالمية مما جعل القزويني يطلق على أرضهم منبت الذهب.[1] وهذا المعدن قامت عليه تجارة واسعة مع مختلف المناطق وخاصة دول الشمال الإفريقي بما فيها منطقة جبل نفوسة. كما تميزت المنطقة بكثرة مناجم النحاس الذي تقوم عليه أدنى شك بعض الصناعات المحلية.

ويشير الرحالة المغربي البن بطوطة إلى هذا المعدن قائلا: «ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه في الأرض، ويأتون به إلى البلد، فيسكبونه في دورهم يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم، فإذا سكبوه نحاسا احمر صنعوا منه قضبانا في طول شبر ونصف، بعضها رقاق وبعضها غلاظ»،[2] حسب حاجتهم من الأدوات وغيرها، وكان هذا المعدن من المواد المصدرة خارج بلاد السودان ويحصلون مقابله على الذهب.[3]

ونظرا للبيئة الجغرافية للبلاد ومناخها عاشت فيها عدة أنواع من الحيوانات مثل: الفيل والكركدان والزرافة، وهذه الحيوانات تعد من ذوات الأعشاب، ولا تعيش إلا فيس المناطق التي تحتوي على غطاء نباتي كبير لاستمرار حياتها وهذا ما أشار إليه الرحالة والجغرافيون.[4] كما تنبغي الإشارة إلى الثروة السمكية الهائلة لوقوع المنطقة على الشواطئ البحرية (المحيط الأطلسي)، بالإضافة إلى جريان الأنهار فيها (نهر السنغال ونهر النيجر)، وشكلت الأسماك غذاء رئيسيا لسكان تلك المناطق.[5] ونتيجة لهذه المقومات شهدت بلاد السودان الغربي قيام عدة ممالك وإمبراطوريات سوف يتم التركيز على مملكتي: (مملكة غانا الوثنية، ومملكة مالي الإسلامية) لما لهما إسهام بالغ في

1 - محمد بن عمر التونسي، المصدر السابق، ص 132.

2 - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ،بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، 1964، ص 697.

3 - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر، 1964، ص 697.

4 - القزويني، المصدر السابق، ص 24.

5 - الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999، ص 280.

الأهمية من حيث تطوير المنطقة حضاريا وخلفت إرثا ثقافيا وإنسانيا يشهد على عمق الحضارة والتاريخ في بلاد أفريقيا فيما وراء الصحراء، وهي في نفس الوقت المناطق التي تعامل معهما تجار جبل نفوسة

1) مملكة غانا الوثنية:

تعاقبت على منطقة السودان الغربي عدة ممالك و إمبراطوريات عبر تاريخها وتعد مملكة غانا الوثنية أقدم الممالك التي ظهرت في تلك المناطق ولعلها أول تجربة من تجارب الحكم الوطني الناجح. وتكاد تتفق معظم المصادر بخصوص تأسيس مملكة غانا في القرون الميلادية الأولى، ويرون في القرنين: (الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين) قرون الازدهار والرقي الحضاري.

كما اهتمت المصادر التاريخية والجغرافية بتلك المملكة وأفاضت الحديث عنها، فيحدد الإدريسي (493-460هـ/1100-1164م) الرقعة الجغرافية لتي شغلتها غانا قائلا: «تتصل من غربيها ببلاد مفزاوة، ومن شرقيها ببلاد ونقارة وبشمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وارض البربر، وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللملمية وغيرها».[1]

والملاحظ أن لفظة غانا تطلقها المصادر أحيانا على الإمبراطورية وأحيانا أخرى تقصد بها المدينة أو الملك والسكان، فنجد ابن حوقل يعني بها الإمبراطورية حيث يقول: «ومن اودغست إلى غانة بضعة عشر يوما بالمفردة، ومن غانة إلى كوغة نحو شهر».[2] في حين نجد في مكان آخر يعني بها الملك نفسه قائلا: «وغانا أيسر من على وجه الأرض من ملوكها، بما لديه من الأموال والمدخرة من التبر»[3] وهذا ما ذهب إليه البكري حين قال: « وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أوكار».[4] كما يتفق مع ابن حوقل في المعنى الأول قائلا: «ومن سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة».[5] أما الإدريسي فيرى أن اسم الملوك يأتي على اسم البلاد نفسها، فسمي الملك غانا على البلاد (غانا)، وملك كوغة اسمه كوغة.[6]

1 -الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 24.

2 - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 91.

3 المصدر نفسه، ص 98.

4 - البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 871.

5 - المصدر نفسه، ص 837.

6 - الإدريسي،المصدر السابق، ج1، ص185.

ويذهب شمس الدين الأنصاري إلى أن: « غانة اسم علم على بلاد كما تقول خراسان والشام».[1]

أما ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) فيهتم بالوقع الجغرافي للبلاد، ويشير إلى أهميتها الاقتصادية، حيث يقول: «غانة....كلمة أعجمية لا اعرف لها مشاركا من العربية، وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع إليها التجار».[2] ويتضح مما سبق أن مملكة غانا شملت معظم حدود السودان الغربي وهي رقعة جغرافية كبيرة، وسبب تلك السيطرة الواسعة، ترجع لتمكن شعب غانا من استعمال الحديد سلاحا قبل غيره من الشعوب الإفريقية.[3] ويمكن أن يضاف إلى ذلك موقعها الجغرافي الممتاز الأمر الذي ترتب عليه سيطرتها على طرق القوافل من ناحية، ومن ناحية أخرى وقوع مناجم الذهب تحت سيطرتها.[4] ويبدو أن معدن الذهب كان متوفرا بصورة كبيرة إلى درجة أن أطلق بعض الجغرافيين على أرضهم: «منبت الذهب»[5] وهذا المعدن هو الذي سيعطي للمنطقة بعدا استراتيجيا عبر توالي الممالك عليها كما سيجعل تجار جبل نفوسة يتوجهون مع غيرهم من تجار الشمال الإفريقي للاتجار مع بلاد السودان الغربي.

ويبدو أن الإسلام كان متغلغلا في مملكة غانة، وهذا ما يتضح من نص البكري الذي يقول: «ومدينة غانة مدينتان سهليتان وإحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا احدهما يجتمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون، وفيها فقهاء وحملة علم... وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمون».[6] ومن الصعب تحديد الفترة الزمنية التي انتشر فيها الإسلام في مملكة غانة الوثنية، إلا إنها فترة مبكرة تسبق وصول المرابطين إلى هناك ويشير لقلقشندي لإسلام أهل غانة قائلا: « وكان أهلها قد اسلموا أول الفتح».[7] وهذا ما يؤكده النص البكري من حيث بروز مظاهر الحياة الإسلامية المتمثلة في كثرة المساجد، الأمر الذي يفيد أن انتشار الإسلام في تلك المنطقة اخذ زمنا طويلا حتى وصل إلى ذلك المستوى،

1 - شمس الدين الأنصاري، المصدر السابق، ص 110.

2 - الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 184.

3 - عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 17.

4 - نفس المرجع والصفحة.

5 - القزويني، المصدر السابق، ص 24.

6 - البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 871-872.

7 - أبو العباس احمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ت)، ص 284.

والتساؤل المطروح هل كان لتجار جبلا نفوسة آية ادوار في نشر الإسلام فيس مملكة غانا الوثنية؟.

2) مملكة الصوصو:

استغلت قبائل الصوصو -وهم من السوننكة وكانوا تابعين لغانا- الظروف السياسية الحرجة التي تمر بها إمبراطورية غانا بعد تعرضها للهجمات المتتالية من قبل المرابطين الذين كان هدفهم الأساسي نشر الإسلام ومحاربة الشرك في تلك المناطق من المعمورة، حيث تمكن أبو بكر بن إبراهيم من السيطرة على العاصمة (كومبي صالح) في سنة 469هـ/1076م.[1] وبالفعل نجح المرابطين في تحويل جزء من السكان الوثنيين إلى الدين الإسلامي.[2] وتحت ظروف المرابطين وانشغالهم بمشاكل دولتهم في الأندلس قرروا الانسحاب من المنطقة تاركين فراغا سياسيا استغلته قبائل الصوصو لإقامة دولة مستقلة عن غانا.

وقبائل الصوصو كما يشير ابن خلدون هم امة تجاوز غانة من ناحية الشرق،[3] ويتزعمهم فرع من أسرة سركلة يعرف (بجرسو).[4] وفي عام 1180م استطاع (جوة كنته) إسقاط تلك الأسرة عن الحكم والزعامة ليحل محلها وهو أيضا يعود إلى السركلة.[5] وتمكن هذا الملك من توحيد إقليمي كانياغا وصوصو في مملكة واحدة، ثم خلفه ابنه الملك (سوماورو) الذي تولي الحكم فيما بين (1200-1235م) وتمكن هذا الملك من إحراز عدة انتصارات حتى امتد سلطانه إلى كل المقاطعات التي كانت خاضعة قديما لحكم غانا ما عدا مندية،[6] التي عندما شرع في غزوها لتوسيع مناطق نفوذه جنوبا هزم إمام قبائل الماندجو في معركة فاصلة بـ (كبرينا) حوالي عام 633هـ/1235م، وفر من بقي من الصوصو إلى منطقة التكرور.[7] وذلك تسنح الفرصة لقيام مملكة مالي الإسلامية بمنطقة السودان الغربي.

وقد ارتبطت مملكة الصوصو بالرغم من قصر فترة حكمها بعلاقات اقتصادية مع دول

1 - الهادي الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي، ص 45.

2 - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج6،ص 237.

3 - نفس المصدر والصفحة.

4 - الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي، ص 46.

5 - عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الإسلامي السودانية بإفريقيا الغربية، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، 1961، ص 87.

6 - جبريل . ت. نياني، مالي والتوسع الثاني للماندانغ، تاريخ أفريقيا العام، مج4، (الفصل السادس)، اليونسكو، ص 137.

7 - الدالي، مملكة مالي الإسلامية، ص 21.

المغرب الإسلامي لا سيما لدولة الرستمية وسيأتي الحديث عنها ضمن مبحث علاقات جبل نفوسة مع منطقة السودان الغربي لاحقا. ومن الملاحظ بخصوص هذه المملكة لم يهتم بها ابرز مؤرخي السودان أمثال: (محمود كعت في كتابه الفتاش، وعبد الرحمن السعدي في تاريخ السودان)، وبذلك تواجه الدراسة صعوبة في الوصول إلى المزيد من المعلومات التي من شانها إبراز دورها السياسي والاقتصادي والثقافي.

3) مملكة مالي الإسلامية:

يبدو أن البكري هو أول من أورد ذكر مالي، التي سماها (ملل) ثم تعرض لها مؤرخون، وجغرافيون، ورحالة في صورة عديدة،[1] وهي التي خلفت إمبراطورية غانة الوثنية في حكم المنطقة بعد جهاد المرابطين عام 460هـ/1076م.[2]

لقد أسست هذه الإمبراطورية قبائل الماندجو القاطنة في إقليم (كانجاب) بقيادة: (سندياتا كيتا) والملقب : بـ (ماري جاطة).[3] وهو الذي تغلب على قبائل الصوصو في معركة (كيرينة) عام 633هـ/1235م،[4] الذين نافسوهم وراثة حكم المنطقة بعد سقوط غانة الوثنية، وقام سندياتا بتحويل العاصمة من جاربا (Jariba) في كانغابا (Kangaba) إلى مدينة نياني (Niani) عام 638هـ/1240م، - ونياني هي التي اشتهرت فيما بعد باسم مالي -وبعد هذا لتحول بداية توسع لمملكة مالي الإسلامية، حيث امتد سلطانها حتى شمل البلدان التي تقع بين بلاد برنو شرقا المحيط الأطلسي غربا، والمنطقة الصحراوية شمالا والغابات الاستوائية جنوبا، وهي نفس المناطق التي كانت خاضعة لإمبراطورية غانا،[5] ومملكة مالي تشمل خمسة أقاليم كل إقليم منها عبارة عن مملكة مستقلة وهي: -

1) **إقليم مالي:** ويتوسط باقي أقاليم المملكة، ويقع ما بين إقليم الصوصو من الغرب، وإقليم كوكو من الشرق، وعاصمته مدينة نياني.

1 - اختلف المؤرخون والجغرافيون العرب في ضبط مالي، والملاحظ أن البكري يسميها (ملل)، في حين نجد كلا من العمري وابن بطوطة والوزان يطلقون عليها (مالي)، أما ابرز مؤرخي السودان أهالي المنطقة المؤرخ لها يسميها محمود كعت (مل) أما عبد الرحمن السعدي (ملي).

2 - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نشر السيد هوداس والسيد بنوة، باريس: 1981، ص 9؛ الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي، ص 48.

3 - وتعني بالعربية: الأمير الأسد.

4 - عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 97.

5 - محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش واكابر الناس، نشر السيد هوداس والسيد دلافوس، باريس: 1964، ص 38.

2) **إقليم الصوصو:** ويقع إلى الغرب من إقليم مالي.

3) **غانة:** تقع غربي إقليم صوصو، وتمتد إلى المحيط الأطلسي وبه مناجم الذهب والى هذا الإقليم يصل تجار جبل نفوسة وهنا نشروا الثقافة الإسلامية.

4) **كوكو:** يقع إلى الشرق من إقليم مالي وعاصمته كوكو.

5) **التكرور:** وتقع فيس شرق كوكو، وعاصمته مدينة تكرور.[1]

بلغت مملكة مالي الإسلامية درجة عالية من الازدهار والرقي الحضاري وتحدث عنها عدد من المؤرخين والجغرافيين فأشار إليها: شهاب الدين العمري قائلا: «وهذا الملك هو أعظم ملوك السودان المسلمين، وأوسعهم بلادا، وأكثرهم عسكرا، وأشدهم بأسا، وأعظمهم مالا، وأحسنهم حالا، واقهرهم للأعداء، وأقدرهم على إفاضة النعماء».[2] وأما مؤرخو السودان فنجد محمود كعت يقول: «وأما مل فإقليم واسع، وارض كبيرة عظيمة مشتملة على المدن والقرى ويد سلطان مل مبسوطة على الكل بالقهر والغلبة، وكنا نسمع من أعوام عصرنا يقولون سلاطين الدنيا أربعة، ما خلا السلطان الأعظم، سلطان بغداد، وسلطان مصر، وسلطان برن، وسلطان مل وبلده».[3]

كما اشتهرت مملكة مالي كذلك باسم (بلاد التكرور) إلا أن التكرور تعد كما اتضح سابقا من ضمن أقاليم المملكة الخمسة وهذا ما لا يقبله سلطان مالي لو سمعه كما أشار لذلك العمري: «وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور ولو سمع هذا انف منه، لان التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته، والأحب إليه أن يقال» صاحب مالي لأنه الإقليم الأكبر وهو به أشهر».[4]

وتعاقب على الحكم مالي عدة ملوك وحكام، إلا أن المملكة شهدت ذروة مجدها في عهد السلطان منسا موسى (707-733هـ/1312-1337م) وذلك لاتساع المملكة وحسن تنظيمها وسيطرتها على مناجم الذهب الذي اكسبها ثروة اقتصادية هائلة، كما أن رحلة الحج التي قام بها منسا موسى كانت بمثابة رحلة إعلامية حيث ذاع صيته، وبلغت مالي شهرة عالمية.

إن للدول والممالك أعمارا ونهايات كما أشار لذلك ابن خلدون عندما تصل الدولة

1 - أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 283-286.
2 - شهاب الدين العمري، المصدر السابق، ج4، ص 108.
3 - محمود كعت، المصدر السابق، ص 38.
4 - العمري، المصدر السابق، ج4، ص 107-108.

إلى مرحلة الشيخوخة، وهذا ما حدث لمملكة مالي الإسلامية التي أصابها الضعف والانكماش خاصة بعد وفاة ابرز سلاطينها منسا موسى، فتعرضت الدولة لمشاكل الانقسامات الداخلية، كثرة الفتن بين الأقاليم مما أدى إلى تفككها، وتوالت عليها الغارات من مختلف القبائل، كالموشي من الجنوب، والطوارق من الشمال إلى أن تمكنت قبائل السنغاى من السيطرة على الأوضاع، وأقامت مملكتها خلفا لمملكة مالي الإسلامية.

الإسلام في إمبراطورية مالي:

وبخصوص انتشار الإسلام في هذه المملكة فهو أمر على ما يبدو قديم فيها، ومن ابرز الأدلة على ذلك إسلام احد ملوكها منذ زمن مبكر من تاريخها، قال البكري: «بلد اسمه ملل وملكهم يعرف بالمسلماني... اسلم واخلص نيته...وصح إسلامه وإسلام عقبه، وخاصته، وأهل مملكته مشركون، فوسموا ملوكهم مذ ذاك بالمسلماني».[1] من هنا يتضح أن أول من اسلم من ملوك مالي هو (المسلماني)،إلا أن البكري في روايته يصمت عن أشياء كثيرة منها: ما هو الاسم الحقيقي لهذا الملك؟ وكذلك من هو الداعية الذي اسلم الملك على يديه؟. هذا ما سيتناوله الباحث في الأوراق التالية.

وبلغت مملكة مالي الإسلامية ذروة مجدها أثناء حكم السلطان منسا موسى (712-738هـ/1307-1332م)، لما تميز به عصره من اتساع في الرقعة الجغرافية، والتنظيم الإداري، والازدهار الاقتصادي، كما اشتهر هذا السلطان برحلته ى الحج عام (725هـ/1324م)، التي ذاع صيتها، وأعطى المملكة شهرة خارج حدودها لدى العرب والأوربيين، هي لرحلة التي خرج فيها 60,000 ألف حمال و500 خادم في حلل مذهبة، ويحمل كل واحد منهم عصا من الذهب،[2] ويذكر كعت: «انه كان معه حمل أربعين بغلة من الذهب».[3] وفي أثناء عودة الرحلة اصطحب معه الشاعر والمهندس أبا إسحاق إبراهيم الساحلي الطويجن، وعبد الله الكومي الموحدي الغدامسي إلى مالي، وهما اللذان ادخلا الطراز الهندسي الأندلسي في البناء، حيث قاموا ببناء جامع سنكري ومساجد أخرى بالمنطقة.[4] وبخصوص التأثير المعماري الذي تركه الشمال الإفريقي في مناطق السودان الغربي والأوسط، يشير بعض المستشرقين أن هناك العديد من المباني وخاصة المساجد مبنية على الطريقة والهندسة الإباضية، ومما لا شك فيه أن لتجار ودعاة جبل نفوسة دور بالغ في ذلك التأثير، لأنهم كانوا على اتصال دائم ومستمر مع تلك المناطق.

1 - البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 875-876.
2 - السعدي، المصدر السابق، ص 7؛ الدالي، مملكة مالي الإسلامية، ص 30-36.
3 - محمود كعت، المصدر السابق، ص 36.
4 - ابن خلدون، العبر، مج6، ص 238؛ الدالي، مملكة مالي الإسلامية، ص 36.

2) علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان:

كما اتضح في بداية البحث أن منطقة جبل نفوسة تعد ضمن بلاد المغرب الأدنى، وان موقعه الجغرافي المتميز جعله يتوسط العديد من المدن والأقاليم من ناحية، ومن ناحية أخرى يعتبر نقطة تلاقي طرق القوافل التجارية القادمة من الواحات الداخلية ومن بلاد السودان (الغربي والأوسط) والمتجهة نحو ساحل ومدن البحر المتوسط الجنوبية مثل طرابلس وتونس والإسكندرية وغيرها، وبذلك لتكمل البضائع التجارية طريقها صوب المشرق الإسلامي وجنوب أوربا.[1] ويؤكد ذلك ما ذكره أبو عبيد البكري: « كانت هناك عدة طرق تربط بين تادمكة وكاوكاو، وتمتد إلى غانا والقيروان عبر وأرجلا والجريد وطرابلس مارة بغدامس وجبل نفوسة».[2]

إذن نفهم الدور التجاري الذي أداه الجبل في محيطه الجغرافي بين مختلف المناطق وخاصة بلدان السودان الغربي والأوسط، غير أن السؤال المطروح هو إلى أي فترة زمنية ترجع علاقات الجبل مع بلاد السودان؟ وما هي تطوراتها عبر العصور الوسطى؟. هناك بعض الباحثين من يرى أن العلاقات ترجع إلى عهود تاريخية قديمة (الفترة القرطاجية والرومانية بالمغرب) واعتبروها سلسلة ربطت بلاد الشمال الإفريقي بأراضي السودان الغربي والأوسط عبر الصحراء الكبرى.[3] فما صحة هذا الرأي؟ وهل هذا الأمر يشمل منطقة الجبل؟ فإذا تحقق ذلك الأمر فهو يتناقض مع ما ذكره محمد علي دبوز حين رأى أن الدولة الرستمية هي التي مهدت لأهل جبل نفوسة القيام بالرحلة إلى السودان للتجارة ونشر الدين بحكم كونهم من رعاياها في بعض الفترات التاريخية.[4] الواضح انه من العسير الوصول إلى حقائق تاريخية في هذا المجال لندرة المعلومات المتعلقة بتاريخ جبل نفوسة القديم.

ومن الملاحظ أن العلاقات بين المنطقتين قد ارتكزت على التجارة العابرة للصحراء الكبرى، إذن لم تشكل الصحراء عائقا وحاجزا يفصل بينهما، وإنما هي محل اختراق تجاري وثقافي.[5] وهذا رد على دعاوى بعض المستشرقين الذين يرون أن الصحراء تشكل

1 - محمد فرج دغيم، التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية الواقعة على جانبي الصحراء ودور ليبيا في هذا التواصل، ص 615.

2 - البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 879-881.

3 - احمد إلياس حسين، طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، (ندوة الصحراء الكبرى)، إعداد: عماد غانم، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1979، ص 211.

4 - محمد على دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 352.

5 - بنعزوز فريدة، قراءة في أبحاث تاديوش ليفيتسكي، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس -ليبيا، 1998، ص 456.

حاجزا طبيعيا دون التواصل بين مناطق شمال أفريقيا وبلاد السودان. بل بالعكس من ذلك فالملاحظ أن لعلاقات كانت قوية وعميقة نتيجة للانتقال وترحل الأهالي من كلا المنطقتين إلى الطرف الآخر. كما أشار لويسكي إلى وجود جماعات من السودان تقطن بجبل نفوسة في القرن الثاني الهجري[1] وهي تعد فترة مبكرة. وفي المقابل كان بعض التجار من الجبل يسافرون إلى مناطق في السودان الغربي ويقيمون هناك.[2] ومن تلك المناطق التي انتظم تجار جبل نفوسة لزيارتها: ملاحات اوليل والتكرور، وغانا، وغيارو، والأخيرة تعد المصدر الرئيسي لتجارة الذهب والرقيق، وكذلك الأمر يتاجرون مع مالي وخاصة الذهب بالإضافة إلى وصولهم إلى كوكو وتادمكة.[3]

هذا الأمر يفسر إتقان الكثير من أهالي الجبل لبعض اللغات الإفريقية، كما أشار إلى ذلك الشماخي بقوله: إن أبا عبيدة عبد الحميد الجناوني يحسن اللغة الكانمية.[4] وان مسالة إتقان مجتمع للغة مجتمع آخر تعني عمق لتواصل وتغلغل العلاقات وتشابكها إلى حد بعيد فاللغة هي وسيلة التخاطب والتفاهم ومشروع لنجاح العلاقات وتقويتها. يمكن أن يطرح السؤال نفسه هنا عن وسائل تعلم أهالي الجبل للغات الإفريقية. هل تتم في مدارس أم كانت عن طريق الاختلاط والاحتكاك؟ في حالة عدم توفر معلومات دقيقة في هذا الخصوص يمكن ترجيح الرأي الأخير.

ويؤيد الآراء السابقة ما شاهده ابن بطوطة (القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)، من وجود مجموعتين من البيض في مملكة مالي في بلدة تسمى وغاري بين ولاته والنيجر وكانت إحدى هاتين المجموعتين جماعة من الإباضية.[5] ولا شك أن يكون البعض منهم من جبل نفوسة، وهذا ما يشير أيضا إلى أن التجارة الصحراوية مع بلاد السودان الغربي ما زالت حتى القرن الثامن الهجري تحت أيديهم.

وينبغي هنا الإشارة للوفد الذي أرسله الإمام افلح بن عبد الوهاب الرستمي إلى مملكة الصوصو برئاسة محمد ابن عرفة وهو من جبل نفوسة حاملا الهدايا لمؤازرة انتصارات لصوصو التي حققتها ببلاد السودان الغربي، ولتوثيق العلاقات بين الطرفين

1 - محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 282.

2 - باولو فرناندو دي مواريس فاوياس، نظام تجارة تادمكة وجاو وكاوكاو وكوكيا في إطار تاريخ الاتصالات الثقافية على امتداد طرق التجارية عبر الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة الثالثة، العدد الأول، 1981، ص 47.

3 - جاك تيري، المرجع السابق، 533.

4 - الشماخي، المصدر السابق، ص 185، سليمان الباروني، المرجع السابق، ص 180.

5 - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 680.

وتشير المصادر إعجاب ملك الصوصو بابن عرفة قائلا له: «أنت حسن الوجه حسن الهيئة والأفعال».[1]

وهذا النص يوضح عمق التفاهم، والرغبة في إقامة واستمرارية الاتصالات بمختلف جوانبها بين المراكز الحضارية على جانبي الصحراء. كما يلاحظ وقوع أراضي جبل نفوسة محل طرق لحجاج تكرور، ونستدل بذلك بما أوردته المصادر التاريخية: أن الشيخ أبا عمرو ميمون بن محمد الشروسي وكان حاكما على الجبل وقتذاك (ما بين 350-400هـ/961-1009م) حيث جاز عليهم جماعة من التكرور يريدون الحج فقام باستقبالهم أحسن استقبال، وأمر بإغلاق الأسواق والخروج إلى أولئك الجماعية للتعامل معهم بالبيع والشراء وقد عبروا عن إعجابهم به أيما إعجاب لأدبه وعلمه وحياته، وامتنع عن اخذ أي مقابل رغم تقديمهم له مبلغ أربعمائة دينار.[2]

وظلت التجارة العابرة للصحراء الكبرى، حتى أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، تحت سيطرة الإباضيين في كل من: مزاب، وبلاد الجريد، وغدامس، وجبل نفوسة.[3]

ونفهم من ذلك أن العلاقات كانت متينة بين الطرفين وتعبر عن خلفية تاريخية وثقافية واجتماعية بين سكان الشمال الإفريقي عموما وبلاد السودان.

4) الطرق والمحطات التجارية:[4]

اهتم أهالي جبل نفوسة كغيرهم من سكان بلاد المغرب الكبير بالتجارة وهي تعد من الأنشطة الاقتصادية الهامة إلى جانب الاشتغال بالزراعة كغراسة أشجار الزيتون والكروم والأعناب وزراعة القمح والشعير، وبعض الصناعات المحلية مثل صناعة الجرود وصياغة الذهب والفضة، والصناعات الفخارية، واغلبها يعتمد على المواد الطبيعية المحلية، إلا أن جل اهتمامهم بالتجارة نتيجة لموقعهم الجغرافي حيث يمثل جبل نفوسة حلقة وصل واتصال بين القارة الإفريقية وبين مدن الساحل على البحر المتوسط الذي تنتقل منه البضائع صوب جنوب أوربا والمشرق الإسلامي.

وتجارة الجبل اتخذت سبيلين الأول: محلي مع المدن والمناطق المجاورة مثل: طرابلس

1 - ابن الصغير، المصدر السابق، ص 17؛ سليمان الباروني، المصدر السابق، ص 233.

2 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 82، الشماخي، المصدر السابق، ص 273-274.

3 - جاك تيري، المرجع السابق، ص 535.

4 - ينظر الخريطة رقم (2).

وغدامس وزويلة والقيروان وغيرها، ويتحدث أبو الحسن بن سعيد المغربي عن العلاقة التجارية فيما بين الجبل نفوسة وطرابلس، ويور أنواعها من الإنتاج الزراعي كانت تعد من البضائع المصدرة حيث يقول: «ومنه (أي من جبل نفوسة) تمتاز طرابلس بأنواع من الخيرات حتى الخضر والفواكه، وفيه الزيتون والزيت والزبيب والتمر».[1] إذن تفهم أن مدينة طرابلس كانت تعتمد على جبل نفوسة فيما تحتاجه من الغلال (الخضر والفواكه)، حيث إن المسافة بين المنطقتين تعتبر قريبة نسبيا فهي لا تتعدى لثلاثة أيام.[2]

أما السبيل الآخر: فخارجي ومن ضمن ما يتمثل فيه التجارة مع بلاد السودان (الغربي والأوسط)، وحيث إن البحث يهتم بعلاقات الجبل مع بلاد السودان فسوف يتم التركيز على طرق القوافل التجارية التي يسلكها تجار الجبل للوصول إلى مدن وحواضر بلاد السودان، والتعرض لأهم المحطات التجارية التي تعد حلقات وصل للتجار.

1) طريق جبل نفوسة –غدامس- تادمكة- (كاوكاو- غانا):

بداية هذا الطريق من مدينة شروس اكبر مدن الجبل في اتجاه غدامس والمسافة بينهما سبعة أيام.[3] وغدامس من الواحات المشهورة في الصحراء الليبية ونظرا لموقعها التجاري المميز إلى الجنوب من الجبل فهي تأتي على طريق القوافل المتجهة لبلاد السودان، ومن هنا فيما يبدو جاءت أهمية هذا الخط التجاري، ومن غدامس يتجه الطريق نحو تادمكة والمسافة بينهما أربعون مرحلة.[4] وتمثل تادمكة مفترق للطرق التجارية منها ما يتجه جنوبا إلى كاوكاو (كوكو) -جادو لمدة تسعة أيام، ومنها ما يتجه ناحية الجنوب الغربي صوب غانا، لمدة خمسين يوما وبذلك تكون المسافة ما بين جبل نفوسة وغانا حوالي سبعة وتسعين يوما تقريبا وما بين الجبال وكوكو حوالي ستة وخمسين يوما تقريبا.

2) طريق جادو –زويلة- كاوار:

الطريق التجاري الثاني الذي يسلكه تجار الجبل يبدأ من مدينة جادو وهي أيضا من المدن الكبيرة في الجبل، ويشير البكري إلى هذا الطريق بقوله: «من أراد الطريق من نفوسة إلى زويلة فانه يخرج إلى مدينة جادو المذكورة، ثم يسير ثلاثة أيام في صحراء ورمال إلى موضع يسمى تيري... ثم يصعد في ذلك الجبل فيسمى في صحراء مستوية نحو أربعة أيام لا يجد ماء ثم ينزل على بئر تسمى أودرف، ومن هناك يلقي جبالا شامخة

1 - أبو الحسن المغربي، المصدر السابق، ص 145-146.

2 - الحموي، المصدر السابق، ص 305؛ الحميري، المصدر السابق، ص 389.

3 - نفسه المصدر والصفحة.

4 - البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 881.

تسمى تارغين يسير فيها الذاهب ثلاثة أيام حتى يصل إلى بلد يسمى تامرما فيه نخيل كثير يسكنه بنو قلدين وفزانة...ويسير من هذا البلد إلى بلد سباب يومين...ويسير من سباب في صحراء مستوية...ومن هذه الصحراء إلى زويلة يوما».[1] ومن خلال هذا النص ندرك بوضوح المدن والمحطات التي يمر بها السالك لهذا الطريق فقد اهتم البكري بذكرها: (جادو، تيري، بئر اودرف، تاغرين، تامرما، سباب، زويلة). ثم يستمر الطريق بعد زويلة إلى مدينة سبها وهي على مسيرة خمسة أيام، ومن هناك تتجه القوافل نحو كاوار، وهذا الطريق الأخير يستشف من نص للبكري: «مضى عقبة من فوره إلى قصور فزان فافتتحها قصرا حتى انتهى إلى أقصاها ثم سألهم: هل وراءكم احد؟ قالوا: نعم أهل خاوار».[2] وبالتالي يمكن أن نستنتج المسافة ما بين جبل نفوسة وزويلة حوالي ثلاثة عشر يوما تقريبا، ومن زويلة إلى كوار 15 يوما، وبالتالي فالمسافة ما بين الجبل وكوار حوالي 28 يوما.

إذن نفهم من خلال تلك الطرق نشطت الحركة الاقتصادية بين الطرفين والمتمثلة في التجارة وعمليات البيع والشراء ونقل البضائع، والملاحظ أن التجار المسلمين إلى جانب نقلهم البضائع إلى بلاد السودان نقلوا معهم أفكارهم ودينهم وحضارتهم، تلك المعاني التيس جسدوها على ارض الواقع، وترجموها سلوكا ومعاملة مع الآخرين الذين اقتنعوا لما رأوه من أخلاق ونظافة وقيم ومبادئ، كما ينبغي الإشارة إلى نقطة هامة وهي أن كثير من تجار جبل نفوسة إلى بلاد السودان كانوا علماء وفقهاء، ويدركون مهماتهم الدينية فعملوا على نشر اللغة العربية والدين الإسلامي، في أفريقيا فيما وراء الصحراء، إلى جانب اشتغالهم بالتجارة.

ومن الطبيعي أن تقف القوافل التجارية المنطلقة من جبل نفوسة صوب بلاد السودان في عدة محطات، وهذا ما يميز الطرق التجارية عندما تتوفر على محطات للراحة وللتزود بالمياه والمؤن، وكذلك تتم فيها عمليات البيع والشراء، ويمكن أن نستخلص المحطات من خلال النصوص السابقة، فمن أبرزها على سبيل المثال:

1) غدامس: وهي من أهم الواحات في بلاد المغرب الأدنى، وكانت مأهولة بالسكان قبل الفتح الإسلامي، وتسمى: (سيداموس)،[3] وقد شاهدت فيها رسم منقوش على إحدى الصخور لحيوان وهو على ما يبدو رسم لبقرة بجانب مقبرة سيدي البدري، مما يدل

1 - المصدري نفسه، ص 656-657.

2 - البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 661.

3 - الطاهر الزاوي، معجم المدن الليبية، ص 241.

على وجود الإنسان منذ التاريخ القديم بمدينة غدامس، قام بفتحها القائد العربي عقبة بن نافع سنة 42 هجرية.[1] وتميزت غدامس بموقعها الجغرافي الهام فهي على مفترق الطرق التجارية، وترتبط مع جبل نفوسة بعلاقات تجارية وثقافية.

2) زويلة: من الواحات المشهورة في الصحراء الليبية، تقع ضمن إقليم فزان، وتنطلق منها القوافل التجارية إلى مختلف مدن السودان، كما تعد نقطة ملتقى القوافل عبر الصحراء الكبرى.

إذن نفهم من خلال هذه الطرق أن منطقة جبل نفوسة كانت تربط ما بين طرق القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان الغربي والأوسط، والطرق التجارية المتجهة صوب مدن ساحل البحر المتوسط، وبذلك تمت عمليا التبادل التجاري ونقل البضائع ما بين المنطقتين شمالا وجنوبا، وينبغي الإشارة إلى جانب نقل تجار جبل نفوسة البضائع التجارية إلى بلاد السودان نقلوا معهم أفكارهم الدينية والأخلاقية والثقافية وتأثر بهم أهالي السودان مباشرة وبطرق غير مباشرة

3) التأثير الديني والثقافي:

تغلغلت علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان (الغربي، الأوسط) بحكم التبادلات التجارية، التي عرفت قبل مجيء الإسلام وازدادت عمقا بعده، فأتاحت ظروفا من الاحتكاك والاختلاط جعلت الطرفين يتعرف كل منهما على ثقافة وفكر الآخر، وتأسيسا على ذلك تسربت التأثيرات الحضارية (دين، فكر، علوم) إلى بلاد السودان، لا سيما وان تجار الجبل يحملون في وجدانهم الدين الإسلامي، الأمر الذي جعلهم يتصفون بصفات أخلاقية عالية مثل: الأمانة والصدق والنظافة وحسن المعاملة، بالإضافة إلى محافظتهم على أداء صلواتهم، كما ينبغي الإشارة إلى أن بعض التجار كانوا علماء في الدين والشريعة، ويدركون أن القرآن يأمر أتباعه بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ونرى ذلك بوضوح في العدد من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن)).[2] وقال عز وجل: ((كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون)).[3]

1 - محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المصدر السابق، ص 42.

2 - سورة، النخيل، الآية، 125

3 - سورة: آل عمران، الآية: 104.

وبذلك كانوا من الرواد في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في بلاد السودان الغربي.[1]

ويبرز سؤال هنا: كيف تأثر أهالي السودان بالإسلام؟ إن مسالة، انتشار الإسلام في بلاد السودان جاءت بطريقة عفوية وسلمية من ناحية انتشر الإسلام بطرق غير مباشرة ودون وضع الخطط والبرامج وهو بتأثر أهالي السودان بأخلاق التجار المسلمين من مختلف بلاد الشمال الإفريقي الذين ساروا بينهم حسب تعاليم الدين الإسلامي، ومن ناحية أخرى انتشر بفعل جهود العلماء والدعاة الذين كانوا في نفس الوقت يزاولون التجارة، حيث يرون من واجباتهم الدينية نشر العقيدة الإسلامية واللغة العربية في الأوساط الأخرى الغير المسلمة دون إكراه خاصة وان ظروف الرحلات التجارية وفرت تلك الفرص.

كما ينبغي طرح سؤال حول من هم العلماء من الجبل الذين قاموا بنشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان؟ تشير المصادر إلى الشيخ أبي يحيى الفرسطائي من الذين كانوا يتاجرون في بلاد السودان وقام بدعوة احد ملوك السودان إلى الإسلام ونجح في ذلك وهذا ما أشار إليه البغطوري قائلا: «روى عن أبي يحيى انه سافر إلى بلاد السودان، فوجد مليكهم ناحل الجسم ضعيفا، فسأله: لما صار حالك هكذا !؟ فقال: عندنا ها هنا شيء إذا نزل ببعضنا أزاله وذهب به، ويعني به الموت. قال أبو يحيى: فأخبرته عن ذلك: الله عز وجل وصفة الجنة وثوابها لمن أطاع الله وأخبرته عن النار وعقابه لمن عصى الله، فقال لي: كذبت لو كان عندك يقين بما تصف لم تأت إلى هنا لطلب الدنيا، فما ولت أحاوله واذكر له الله ونعمائه، وارغب في الإسلام حتى اسلم وحسن إسلامه».[2]

وبتحليل النص نستخلص بعض المعلومات، منها أن الشيخ أبو يحيى عاش خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أي أن نشره للإسلام في بلاد السودان يعود لفترة مبكرة تسبق غيرها من المحاولات، إلا أن السؤال من هو هذا الملك السوداني؟ وما هي مملكته؟ وفي أي بقاع السودان؟ هذه الأسئلة لم يفصح عنها المؤرخ البغطوري !! فلماذا؟، إلا أن رواية البغطوري تفيد أن الفرسطائي كان بالفعل من الدعاة، أي انه يضع الدعوة إلى الإسلام قضية من قضاياه ويتضح ذلك من إصراره واستمراره في دعوة الملك السوداني، وقيامه بتوضيح عقائد الإسلام المتمثلة في معرفة الله سبحانه وتعالى،

1 - Z. DRAMANI - ISSifou, Les Relations Historiques Entre La LanGue Arabe Et Les LanGues Africaines. Tunis, 1992. P. 41.

2 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 52.

والإيمان بالجنة والنار، فهو يدرك أن الناس على دين ملوكهم في ذاك الزمان، وبإسلامه سوف يكسب إسلام أهالي المملكة جميعا.

ويبدو من خلال النص أن المحاورة استمرت أياما حيث يقول: فما زلت أحاوله والملك يكذبه....الخ. ويتضح من رد املك أن أبا يحيى كان تاجرا حيث قال له: لو عندك يقين بما تصف لم تأت إلى هنا لطلب الدنيا، وطلب الدنيا يقصد بها طلب التجارة، كما نفهم من النص أن أبا يحيى الفرسطائي كان على صداقة قديمة مع هذا الملك وذلك من خلال سؤاله لما صار حالك هكذا !؟ أي انه كان على معرفة بحال الأول وتعجب من سوء حالته. كما يمكن أن نفهم من علاقة الشيخ الفرسطائي بملك السودان، أن التجار المسلمين عموما يحظون بدرجة عالية من التكريم والتقدير في تلك المجتمعات. والاهم من ذلك كله هو نجاح أبي يحيى في إقناع الملك بالإسلام وهذا يمثل أعمق تأثير ديني وثقافي لعلماء الجبل في بلاد السودان.

كما يورد الشماخي رواية تفيد جهود الشيخ علي بن يخلف التيميجاري[1] في سبيل نشر الإسلام واللغة العربية في بلاد السودان الغربي قائلا: علي بن يخلف فكان عالما تقيا... ومن أعظم كراماته ما اشتهر عند المواقف والمخالف، وذكر ذلك البكري في المسالك والممالك إلا انه لم يسمه وسماته غيره، وهو انه سافر إلى دواخل غانة تاجرا فقام بها ولبه مكان عند ملكها وكان عظيما تحته اثنا عشر معدنا يستخرج منها التبر، ووقع القحط ببلادهم، فاشتكت الرعية إلى السلطان، وذلك بمدينة مالي... وكان الشيخ علي على ارتحال، فقال له الملك: ادع ربك لعله يغيثنا، فقال: لا يجوز وانتم تعبدون غيره، قال: كيف صفة الإسلام، فما زال به حتى وحد وتكلم بكلمة الحق».[2]

وبتحليل نص الشماخي يتضح أن هذه المعلومة التاريخية الخاصة بالشيخ علي بن يخلف النفوسي التيميجاري، مدونة في مصادر تاريخية أخرى كانت متوفرة للشماخي ولم تصل إلينا. إلا أن السؤال لماذا لم يذكره البكري في مسالكه وممالكه؟ وهذا ما أشار إليه الشماخي، بالرغم من تطابق رواية كل منهما للآخر !. إلا أن البكري يشير إلى اسم الملك (المسلماني)،[3] وهذا ما لم يذكره الشماخي !. في حين تذكر بعض الدراسات التاريخية المعاصرة أن اسم ملك غانا (برو مند انه)، هو الذي اسلم على يدي الشيخ علي

1 - نسبة إلى قرية تيميجار إحدى قرى مدينة الرحيبات بالجبل، وكان من التجار المشهورين ينظر: الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، بيروت: دار الطليعة، 1980، ص 94-95.

2 - الشماخي، المصدر السابق، ص 457.

3 - البكري، المسالك والممالك، ص 875-876.

بن يخلف، وسار اسمه (المسلماني)، كما اسم اسلم عدد من رعيته،[1] وهو نفس الاسم للملك السوداني (برمندانه) الذي يرى ابن خلدون: «انه أول من اسلم منهم».[2]

ومن الشخصيات التي أدت دورا في نشاط الإسلام والثقافة واللغة العربية الشيخ أبو هارون بن يونس الجلالي الذي كان من التجار الذين يسافرون إلى تادمكت ببلاد السودان، ونجح في تجارته بكسبه مالا كثيرا.[3] وبعد أبو هارون من علماء الجبل الكبار وقام بتأسيس مدرسة في الجبل تخرج منها العديد من العلماء البارزين، فمن الطبيعي أن يترك آثارا ثقافية ودينية بحكم سفره المستمر إلى بلاد السودان واختلاطه بالأهالي هناك.

وتتساءل باحثة معاصرة عن مدى مصداقية وصحة روايات مؤرخي الجبل قائلة: «وهل كان ما رمى به أهل السنة الخوارج من الخروج سببا في أن يحاول كتابهم أن يضيفوا عليهم أمجادا وبطولات تبين جهودهم في نشر الإسلام كرد فعل لما رموا به؟»[4] من ناحية الإباضية ليسوا من الخوارج،[5] ومن ناحية أخرى فقد أشارت العديد من المصادر التاريخية والجغرافية العربية -كما هو واضح في الأوراق السابقة من البحث- إلى علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان منذ ما قبل الإسلام وتمثلت تلك العلاقات في التجارة، وبعد مجيء الإسلام ازدادت وترسخت تلك الصلات. وفي هذا الصدد تشير بعض المراجع إلى جهود تجار جبل نفوسة وتاهرت، في نشر الإسلام وترى: «أن أول أشكال الإسلام التي عرفها السودان كان الإباضية»،[6] كما يؤكد صحة هذا الرأي بعض المستشرقين مثل ليفيتسكي وماسكراى والأخير: «أكد أن الإسلام وصل حتى بلاد غانة عن طريق التجار الإباضية من رعايا الدولة الرستمية»[7] فمن الطبيعي أن يقوم تجار الجبل خاصة العلماء والفقهاء منهم، وهم على مستوى عال من التفقه بمسؤولية الدعوة، «وإذا ما دخل مثل هذا الرجل قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوءه وانتظام أوقات الصلاة والعبادة... وان ما يتحلى به من سمو عقلي و خلقي ليفرض احترامه والثقة به على

1 - الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي ، ص 10.

2 - ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 237.

3 - البغطوري، المصدر السابق، ورقة 30.

4 - نبيلة حسن محمد، في تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، بيروت: (د. ت)، ص 25.

5 - يعد إطلاق لفظ الخوارج على الإباضية من الدعيات المغرضة التي نشأت عن التعصب السياسي أولا المذهبي ثانيا، فلما ظهر غلاة المذاهب وقد خلطوا بين الإباضية والازارقة والصفرية والنجدية، فالإباضية لم يجمعهم جامع بالصفرية والازارقة ومن نحى نحوهم إلى إنكار التحكيم بين علي ومعاوية، وهو رأي على قبل الضغط عليه بقبول التحكيم، والإباضية لا يستبيحون مال المسلمين ولا دماء الموحدين. للمزيد انظر: صالح باجيه، المرجع السابق ، ص 4.

6 - جاك تيري، المرجع السابق ص 528.

7 - نقلا عن محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق ، ص 299-300.

الأهالي الوثنيين».[1] كما يمكن ترجيح أسماء أخرى كان لها نفس الدور لم تذكرها المصادر لسبب الإهمال من ناحية، أو ضياع بعض المصادر التاريخية من ناحية أخرى.



1 - توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عبدين، ط 2 ، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1957، ص 391.

الخاتمة

انتهت ولله الحمد والمنة هذه الدراسة التاريخية، المتعلقة بدراسة الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي والأوسط، من اقرن الثاني الهجري - الثامن الهجري/القرن الثامن الميلادي- الرابع عشر الميلادي، ويمكن أن نجمل ابرز ما أوضحته هذه الدراسة في النقاط التالية:

1) أن جبل نفوسة يقع ضمن سلسلة جبلية طويلة متصلة، تمتد من جبال أطلس (المغرب الأقصى) غربا إلى مدينة الخمس بليبيا شرقا (مرتفعات النقازة). وتطلق على أجزاء من هذا الجبل أسماء محلية منها: جبل درن (أطلس) بالمغرب والجزائر، وجبل الأوراس بالجزائر، وجبل دمر ومطماطة بتونس، وجبال طرابلس في ليبيا وتسمى مسافة منه جبل نفوسة.

2) أن تسمية جبل نفوسة جاءت نسبة إلى قبيلة نفوسة المستوطنة بالجبل منذ أوائل العصر الوسيط، إلى جانب عدة قبائل أخرى منها: هوارة، وزناتة، ولواتة، وسدراتة، ومغراوة، وتمكنت قبيلة نفوسة من السيطرة على تلك القبائل تدريجيا، وبذلك كانت تسمية الجبل بنفوسة، إلا إنها تعد تسمية متحركة تتمدد وتتقلص حسب الظروف السياسية والاجتماعية، وأقصى امتداد لها من مدينة نالوت غربا إلى مدينة يفرن شرقا، ويبدو أن هذا الوضعية للتسمية لها علاقة في اختلاف أراء الجغرافيين العرب حولا تحديد طول جبل نفوسة.

3) تفاعل سكان الجبل مع بيئتهم الطبيعية التي تحمل ما بين ثلاثة أشكال جغرافية وهي: (الجبل، والجفارة، والظاهر) ومنحتهم أنماط وأساليب للعيش يميزوا بها عن غيرهم، فجمعوا ما بين حياة الحضر والاستقرار بمعرفتهم للزراعة، وبناء البيوت والمنازل، والاشتغال بالتجارة، وحياة شبه البداوة التي مارسوها في فصول أخرى من السنة، وذلك بخروجهم إلى الجفارة للمراعي.

4) يعد لجبل من المناطق المأهولة بالسكان منذ التاريخ القديم، ودلت على ذلك الاكتشافات والدراسات الأثرية (رسوم، نقوش) وبذلك كان للجبل حضارته القديمة التي تطورت عبر العصور فانشأ العديد من القرى والمدن على طول جغرافية الجبل، ولوحظ

السكن في الغيران (الكهوف)، ثم عرف بناء البيوت بالمواد الطبيعية المحلية (الحجارة، والطين، والتراب، والجبس)، وعرف الزراعة ومن مغروساته: الزيتون والتين والكروم واللوز والحمضيات والنخيل كما زرع القمح والشعير والبقوليات، كما عرف الصناعة وقام بصناعة بعض من حاجياته اليومية مثل: المحراث، والرحى، والأواني الفخارية، والملابس والأغطية الصوفية.

5) تعاقبت الأديان على جبل نفوسة، وتعاصرت في نفس الوقت فمن الوثنية المتمثلة في عبادة وتقديس الأصنام والصخور، وعبادة الشمس والشجر، إلى الديانات السماوية (اليهودية، والمسحية) إلى مجيء الإسلام الذي دخل فيه الأهالي، وكانت له الغلبة على كافة الأديان الأخرى، حيث تحول الناس تدريجيا للإسلام طواعية ودون إكراه.

6) وصل الإسلام إلى جبل نفوسة على يد القائد عمرو بن العاص سنة 23 هـ. زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وفتح أهم مدنه شروس وكانت عاصمة الجبل وقتذاك، ويبدو أن الجبل تم فتحه صلحا، ودخل أهله في الإسلام.

7) أدى سكان الجبل دورا مهما في الحياة السياسية ببلاد المغرب الإسلامي (الأدنى، والأوسط) وساهموا بشكل أساسي في قيام الدولة الرستمية التي عاشوا في كنفها حتى سقوطها، كما كان لهم حضور اقتصادي قوي بسيطرتهم على طرق التجارة العابرة للصحراء التي مكنتهم من الاتصال ببلاد السودان (الغربي والأوسط)، وتفاعلوا مع سكانه تأثيرا وتأثيرا.

8) فيس ظل الحضارة الإسلامية التي تدعو إلى التسامح والعدالة الاجتماعية، والحرية بمختلف معانيها ومستوياتها، فقد تعايشت الأقليات الدينية (اليهودية، المسحية) في جبل نفوسة إلى جانب سكانه المسلمين دون المساس بحريتهم الدينية والفكرية والاجتماعية إلى أن تحولوا تدريجيا وبطواعية إلى الدين الإسلامي.

9) بفعل تعاليم الدين الإسلامي توجه سكان الجبل إلى العلم والتعليم، فقاموا بالرحلات العلمية فرادى وجماعات إلى المراكز الحضارية العربية الإسلامية، وعادوا إلى الجبل لنشر العلوم والفنون، واهتموا ببناء المساجد والمدارس في مختلف قرى ومدن الجبل، وخاصة في المناطق التي تخلو من المدارس والمعلمين وأنشأوا المكتبات العامة، وزودوها بالكتب في مختلف التخصصات، وبذلك خلقوا المناخ العلمي لطلاب العلم والمعرفة.

10) ظهر بجل نفوسة عبر القرون الوسيطة العديد من العلماء والعالمات والفقهاء

والمفكرين، الذين أسهموا بشكل كبير في ازدهار الحركة العلمية والثقافية بالجبل، فقاموا بتدريس الطلاب والتلاميذ الذين صاروا علماء فيما بعد، وقام بعض العلماء والمشائخ بالتجول في قرى ومدن الجبل لنشر اعلم ومحاربة الجهل، والاهتمام بالعلوم والفنون بحثا ودراسة، كما ألفوا الكتب في مختلف الفروع والمجالات، وقاموا بنسخها ونشرها.

11) أصبح لجبل نفوسة مكانة علمية وثقافية في بلاد المغرب، فقصده الطلاب من خارج الجبل فدرسوا في مساجده ومدارسه، ورجعوا إلى أوطانهم حاملين معهم علوم الجبل ونشروها في مختلف البقاع.

12) رحل العديد من علماء وفقهاء الجبل إلى مناطق أخرى في بلاد المغرب الأدنى والأوسط: (فزان، غدامس، جربة، بلاد الجريد، الجنوب الجزائري)، وساهموا في نشر الثقافة العربية والإسلامية.

13) ارتبط جبل نفوسة ببلاد السودان (الغربي والأوسط) بروابط وصلات وعلاقات منذ أقدم، وخاصة العلاقات التجارية كغيره من مناطق الشمال الإفريقي ومنطقة أفريقيا فيما وراء الصحراء، وبعد وصول الإسلام إلى بلاد المغرب عامة، قام علماء وتجار جبل بنشر الدين الإسلامي، واللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية في تلك البقاع.

التوصيات

اتضح من خلال هذه الدراسة أن منطقة جبل نفوسة تعد من المراكز الحضارية ببلاد الغرب الإسلامي، وهي ما زالت منطقة بكر فلم تستوفي حقها من البحث والدراسة العلمية الجادة وخاصة الدراسات الأثرية والتاريخية، فهذه المنطقة تزخر بالعديد من المخطوطات والوثائق في مختلف المجالات (دينية، وتشريعية، ولغوية، وأدبية، وتاريخية، وفلسفية وغيرها)، إلا إنها مشتتة عند الأهالي واغلبها مخزنة بطريقة غير علمية. كما تتميز منطقة جبل نفوسة بوجود كم هائل من الآثار بعضها يعود إلى فترة التاريخ قديم، والبعض الآخر -وهو الأكثر- يرجع إلى التاريخ الإسلامي، إلا أن المؤسف في الأمر اغلب تلك الآثار في حالة سيئة للغاية وتتعرض للدمار والضياع، وتجنبا لتلك المخاطر توصي هذه الدراسة بما يلي:-

1. إنشاء وتأسيس متحف يهتم بالآثار (صيانة وترميم) بالإضافة إلى الاهتمام بإجراء البحوث والدراسات الأثرية للمنطقة.

2. إنشاء وتأسيس مركز للمخطوطات والوثائق، وان يهتم هذا المركز بجمع كافة المخطوطات والوثائق، ومن ثم تقوم عليها الدراسات والبحوث التاريخية.

المصادر والمراجع

- المصادر المخطوطة.
- المصادر المطبوعة.
- المراجع.
- المراجع الأجنبية.
- الدوريات.
- الرسائل العلمية.

أولا: المخطوطة:

1) البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم، الجواهر المنتقاة، طبعة حجرية، مكتبة الباحث.

2) البغطوري، سيرة أهل نفوسة، مخطوط، مكتبة الباحث.

3) الجناوني، كتاب الصوم، مخطوط، طبعة حجرية.

4) الجناوني، الأحكام مخطوط، مكتبة الباحث.

5) الجيطالي، إسماعيل بن موسى، قناطر الخيرات، طبعة حجرية.

6) الجيطالي، إسماعيل الجيطالي، عقيدة الجيطالي، مخطوط، مكتبة الباحث.

7) الجيطالي، إسماعيل بن موسى، شرح النونية، مخطوط، مكتبة الباحث.

8) الشماخي، إبراهيم سليمان، طرق وقصور جبل نفوسة، مخطوط مكتبة الباحث.

9) الشماخي، احمد أبو العباس، السير،مخطوط، طبعة حجرية، مكتبة الباحث.

10) الشماخي، أبو عمران موسى، لقط أبو عمران، مخطوط، مكتبة الباحث.

11) الفرسطائي، احمد أبو العباس، الألواح، مخطوط، مكتبة الباحث.

12) المساكني، عمروس بن فتح، أصول الدينونة الصافية، مخطوط، مكتبة الباحث.

13) الوارجلاني، يحيى بن أبي بكر، السير وأخبار الأئمة، مخطوط، مكتبة الباحث.

14) الوسياني، أبو الربيع سليمان، سير أبي الربيع، مخطوط، مكتبة الباحث.

15) التملوشايتي، أبو نصر فتح بن نوح، ديوان الشيخ أبو نصر، طبعة حجرية، القاهرة: المطبعة البارونية.

ثانيا. المصادر المطبوعة:

1) القرآن الكريم.

2) الإباضي، ابن سلام، بدء الإسلام وشرائع الدين، ترجمة: سالم بن يعقوب وقيرز شفارتس، بيروت: دار صادر، 1986.

3) الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مع 1، بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، 1994.

4) استرابون، الكتاب السابع عشر من كتاب استرابون(وصف ليبيا ومصر)، تحقيق: محمد المبروك الذويب، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 2003.

5) الاصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحسيني، مراجعة: محمد شفيق غربال، مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1961.

6) الأنصاري، شمس الدين أبي عبد الله، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ج2، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر (ب.ت).

7) الباروني، سليمان عبد الله، الأزهار الرياضية في معرفة أئمة وملوك الإباضية، ج2، القاهرة: المطبعة البارونية، (ب.ت).

8) الباروني، عبد الله بن يحيى، سلم العامة والمبتدئين، القاهرة: مطبعة النجاح، 1290م.

9) البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم، رسالة في كتب الإباضية.

10) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر،1964 .

11) البغدادي، صفي الدين،مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع، تحقيق و تعليق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، 1992.

12) البكري، أبو عبيدة، المسالك و الممالك،ج2، تحقيق: أدريان فان ليفن و أندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب،1992.

13) البكري، أبو عبيدة، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب،(ب.ت).

14) البلاذري، أبي العباس احمد، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله الطباع وعمر الطباع، بيروت:منشورات مؤسسة المعارف،1987.

15) التجاني، أبو محمد عبد الله، رحلة التجاني،تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا ـ تونس:الدار العربية للكتاب،1981.

16) التونسي، محمد بن عمر،تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب و السودان،تحقيق:خليل عساكر وآخرون،القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف و النشر،1965.

17) الجناوني، أبي زكرياء يحيى، كتاب الوضع.

18) الجناوني، أبي زكرياء يحيى،عقيدة التوحيد.

19) الجيطالي، إسماعيل أبو طاهر بن موسى،قناطر الخيرات، ج1،تحقيق : عمرو النامي، القاهرة: 1965.

20) ابن الحكم،عبد الرحمان عبد لله، فتوح افريقية والأندلس.

21) الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان.

22) ابن خردانبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك،.تقديم: محمد محزوم، بيروت:دار إحياء التراث العربي، 1988.

23) ابن خلدون، عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج6،بيروت: دار الكتب العلمية،1992.

24) ابن خلدون، عبد الرحمان،المقدمة،ط2،ضبط و شرح و تقديم: محمد الاسكندراني، بيروت: دار الكتاب العربي، 1998.

25) الدرجيني، أبو العباس احمد، طبقات المشائخ بالمغرب،ج1، تحقيق: إبراهيم طلاي، قسطنية : مطبعة البعث،1974.

26) الرستمي، عبد الوهاب بن عبد الرحمان، مسائل نفوسة.

27) السعدي، عبد الرحمان،تاريخ السودان، باريس: نشر هوداس وبنوه، 1964.

28) الشماخي، عامر بن علي، الإيضاح، نالوت: دار الدعوة 1971.

29) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986.

30) العمري، شهاب الدين احمد بن فضل الله.

31) ابن غلبون، محمد بن خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من إلا خيار، تصحيح وتعليق: الطاهر احمد الزاوي، طرابلس: مكتبة النور، 1967.

32) فتى بن جناو وعبد القهار بن خلف، أجوبة علماء فزان، تحقيق: عمرو خليفة النامي وإبراهيم طلاي، قسنطينة: دار البعث، (ب.ت).

33) القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر، 1960.

34) القلقشندي، صبح الاعشي في صناعة الإنشاء، ج5.

35) كعت، محمود، تاريخ الفتاش، باريس: نشر هوداس وبنوه، 1964.

36) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1985.

37) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت: مكتبة خياط، 1906.

38) المغربي، أبي الحسن علي بن سعيد، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1970.

39) المراكشي، ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق: ج.س. كولان وإ.ليفي بروفنسال، ط3، بيروت: دار الثقافة، 1983.

40) النصيبي، أبي القاسم بن حوقل، صورة الأرض ، ج1، ط2، بيروت: دار صادر، (ب.ت).

41) الوزان، الحسن، وصف أفريقيا، ج2، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983.

42) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب، كتاب البلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988.

ثالثا. المراجع

1) أمين، احمد، فجر الإسلام، بيروت: دار الكتاب العربي.

2) انديشة، احمد محمد، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، مصرانية: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1993.

3) الأنصاري، احمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس: مكتبة الفرجاني، (ب.ت).

4) باب عمي، محمد بن موسى وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

5) بازامة، محمد مصطفى، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، ج8، بنغازي: دار مكتبة الفكر، 1972.

6) البخاري، إصلاح محمد، انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء (تنبكت-غدامس نموذجا)، الزاوية: مطابع الوحدة العربية ، 2004.

7) البرغوثي، عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم، بيروت: دار صادر، 1971.

8) البرغوثي، عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي الإسلامي، بيروت: دار صادر، 1971.

9)تيري، جاك، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، مصراته: دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 2004.

10) الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، ط6؟، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.

11) الجابري، محمد عابد، العصبية والدولة، ط3، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1982.

12) الجعبيري، فرحات، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، تونس: المطبعة العصرية، 1975.

13) الجنجاني، الحبيب، دراسات مغربية.

14)جوتشايلد، ر.ج، دراسات ليبية، ترجمة: عبد الحفيظ فضيل الميار و احمد اليازوري، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999.

15) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ط7، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1964.

16)حسن، نبيلة، في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، (ب.ت).

17) الدالي، الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999.

18) الدالي، الهادي المبروك، مملكة مالي الإسلامية، ط2، الزاوية: مطابع الوحدة العربية، 1999.

19) دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير.

20) روزنتال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح احمد العلي، مراجعة: محمد توفيق حسين، بغداد: مكتبة المثني 1963.

21) روسي، أتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، تعريب وتقديم: خليفة التليسي، بيروت: دار الثقافة، 1974.

22) الزاوي، الطاهر احمد، معجم البلدان الليبية، طرابلس: منشورات مكتبة النور، 1968.

23) الزاوي، الطاهر احمد، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط2، ليبيا: دار التراث العربي، 1963.

24) زبادية، عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين، الجزائر: الشركة وطنية للنشر والتوزيع، (ب.ت).

25) زبيس، سليمان مصطفى، بين الآثار الإسلامية في تونس، تونس: منشورات دار الثقافة، 1963.

26) زكار، سهيل، مائة أوائل، دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، 1989.

27) زكي، عبد الرحمن، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، 1961.

28) سليم، مريم، علم تكوين المعرفة ابستومولوجيا بياجه، بيروت: معهد الإنماء العربي، 1985.

29) شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، ج5، ط5، بيروت: المكتب الإسلامي، 1991.

30) شرف، عبد العزيز طريح، جغرافية ليبيا، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، 1962.

31) الطالبي، محمد، الدولة الأغلبية، ترجمة: المنجي الصيادي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985.

32) الطاهر، عبد الجليل، المجتمع الليبي دراسات اجتماعية وانتربولوجية، صيدا -بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1969.

33) الطويل، توفيق، العرب والعلم في عصر الإسلامي الذهبي، القاهرة: دار النهضة العربية، 1968.

34) عباس، إحسان، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، بيروت: دار صادر، 1967.

35) عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي.

36) عبد الرزاق، محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1976.

37) العربي، إسماعيل، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، المغرب: منشورات دار الآفاق الجديدة، 1993.

38) عبد العليم، مصطفى كمال، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية -المطبعة الأهلية، 1966.

39) عمر، احمد مختار، النشاط الثقافي في ليبيا، بيروت: مطبعة دار الكتب، 1971.

40) عبد الوهاب، حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية، القسم الأول، تونس: مكتبة المنار، 1972.

41) الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، موسوعة المغرب العربي، مج3، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994.

42) غوتيه، أ.ف، ماضي شمال أفريقيا، تعريب: هاشم الحسني، طرابلس: مكتبة الفرجاني، 1970.

43) غوري، إبراهيم حلمي، الصحارى والسهول والسهوب، بيروت: دار الشرق العربي، (ب.ت).

44) ليفيتسكي، تاديوش، المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: ماهر جرار وريما جرار، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000.

45) ليفيتسكي، تاديوش، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم (دراسة لسنية في الانوميا والطوبونوميا الأمازيغية) ترجمة: عبد الله رارو، الولايات المتحدة الامريكية: مؤسسة توالت الثقافية.

46) متز، ادم، الحضارة الإسلامية، ج1، تعريب: محمد الهادي أبو ريدة، بيروت: دار الكتاب العربي، (ب.ت).

47) المصراتي، علي مصطفى، مؤرخون من ليبيا، طرابلس: منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1977.

48) معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثانية -القسم الأول، القاهرة: مكتبة وهبة، 1964.

49) مفتاح، صالح مصطفى، ليبيا منذ الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر.

50) المهدوي، محمد المبروك، جغرافية ليبيا البشرية، بنغازي: منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، (ب.ت).

51) موسى، عز الدين

52) الميار، عبد الحفيظ فضيل، الحضارة الفينيقية في ليبيا،طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001.

53) الناضوري، رشيد، المغرب الكبير العصور القديمة، بيروت: دار النهضة العربية، 1981.

54) يعقوب، سلم بن، تاريخ جزيرة جربة؟، تونس: دار الجويني للنشر، 1986.

رابعا. المراجع الأجنبية:

1) Oric Bates, The Eastern Libyens Frank Cass Co. ltd. 1970.

2) Despois .J. : Le Djebel Nefousa. Larore. Editcurs. 1935.

خامسا الدوريات:

1) الآن، جيمس، بعض مساجد جبل نفوسة، مجلة ليبيا القديمة، المجلد التاسع والعاشر، روما: مطابع ج. باردي، 1977.

2) باريش، باربرا، الجيولوجيا الأثرية للجبل الغربي، ترجمة: مصطفى عبد الله الترجمان، مجلة عربيا القديمة، العدد الأول، روما: «ليرما» دي بريتشنايدر، 1995.

3) حركات، إبراهيم، دور الصحراء الإفريقية، مجلة البحوث التاريخية، العدد، السنة الثالثة، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 19.

4) حسن، محمد، حول إحدى القبائل البربرية: نفوسة (مجالها الجغرافي وعلاقتها بالسلطة المركزية)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد العاشر، الرباط: 1984.

5) حسين، احمد إلياس، سلع التجارة الصحراوية، ندوة الصحراء الكبرى، إعداد: عما غانم، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين، 1979.

6) حسين، احمد إلياس، طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، ندوة الصحراء الكبرى، إعداد: عماد غانم، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين، 1979.

7) دغيم، محمد فرج، التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية الواقعة على

جانبي الصحراء ودور ليبيا في هذا التواصل، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي، طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1999.

8) سمبسون، و. ج وج.م. رينولدز، نقوش كتابية من العوينية بالقرب من يفرن، مجلة ليبيا القديمة، روما: مطابع ج. باردي، 1968.

9) العناق، جمعة محمد، ما قبل التاريخ في شمال أفريقيا، مجلة آثار العرب، العدد الأول (الفاتح)، 1990.

10) العوامي، عياد موسى، تأملات في فن الرسم على الصخور، مجلة آثار العرب، العدد الثاني، (مارس)، 1991.

11) فايس، هانسن الصحراء الكبرى في ضوء التاريخ، ترجمة مكاييل محرز، مراجعة: عماد غانم، ندوة الصحراء الكبرى، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين، 1979.

12) فرناندو، باولو، نظام تجارة تادمكة وجاو وكاوكاو وكوكيا في إطار تاريخ الاتصالات الثقافية على امتداد طرق التجارة عبر الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة الثالثة، 1981.

13) فريدة، بنعزوز، قراءة في أبحاث تاديوش ليفيتسكي حول فجر العلاقات بين المغرب وبلاد السودان، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي، طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1999.

14) قوجة، محمد، الابعاد الحضارية لجامع أبو مسور في جزيرة جربة: جمعية صيانة جزيرة جربة، 1995.

15) بن مرزوق، الصادق، إسماعيل الجيطالي حياته ومآثره، أعمال الملتقى حول تاريخ جزيرة جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، جربة: منشورات جمعية صيانة جزيرة جربة، 1986.

سادسا. الرسائل العلمية:

1) مفتاح، صالح بن معيوف، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية منذ منتصف اقرن 2هـ إلى أواخر القرن 3هـ، إشراف: محمد حمام، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ الرباط: 2000-2001 ف.

فهرس المحتويات